435

HARLEQUIN

روايات أحلام

حب فوق الشجرة

آن ماكاليستر

www.elromancia.com

مرمورية

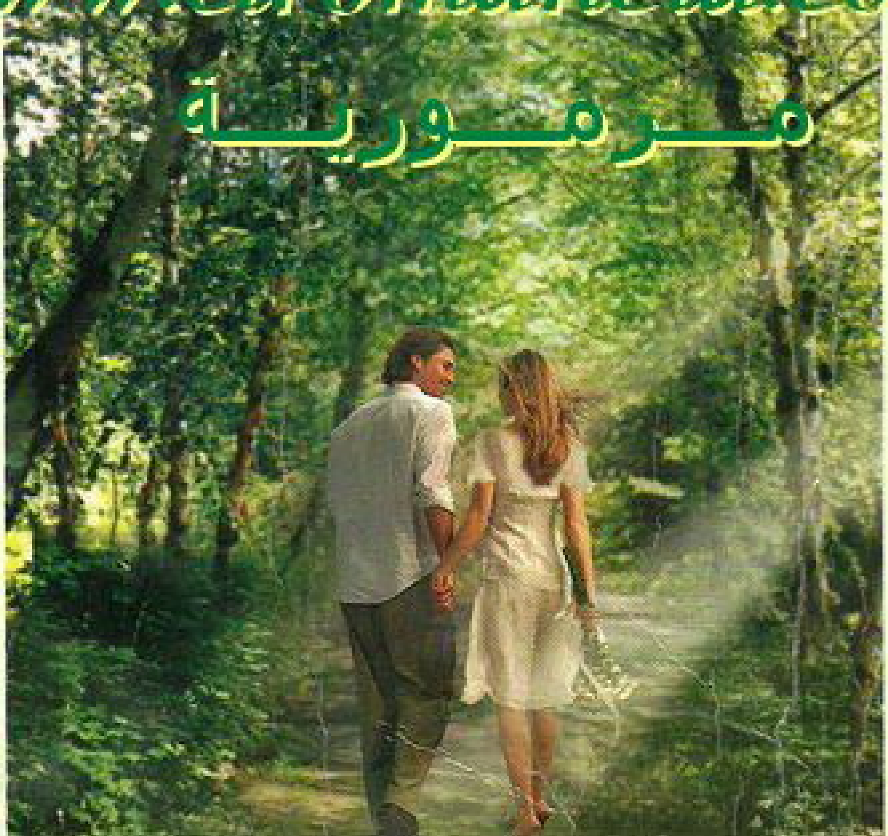

حب فوق الشجرة

من أجل الحصول على صفقة مربحة، يحتاج سبنسر طياك إلى زوجة لمدة أسبوع. فكيف يمكنه أن يجد هذه الزوجة؛ ولكن الأهم كيف نسي أن لديه زوجة بالفعل؛

كانت سكرتيرته الرزينة سادي موريس معه دائماً، تذكره، تنظم حياته، تنظم عمله... هل هو ذنبها أنها ذكرته أن لديه زوجة بالفعل، ولا حاجة لأن يبحث عن واحدة؛ ولماذا سيجعلها تدفع ثمن هذه الذكرى. الغلطة التى ما تزال تؤرق لياليه حتى بعد أربع سنوات!

آن ماكاليستر

آن ماكاليستر الحائزة على جوائز في التأليف وهبها الله السعادة المتمثلة في زوج مثقف طيّب وبيت ڤيكتوري متداع وأولاد عفاريت وعدد كبير من الكلاب اللطيفة وحياة قضتها في كتابة الروايات عن الأبطال الوسيمين السمر . . أين أوقع سعادتي؟ سألت ونفذت فوراً . .

ففي السنوات الأخيرة كانت سعيدة بأن تقول بأن مخططها كان النجاح . . وهي دائماً سعيدة بمشاركة قرائها آخر الأخبار

موقعها على الإنترنت:

WWW.annemcallister.com.

أو عبر صندوق البريد:

P.O Box 3904, Bozeman, Montana

59772, USA (SASE appreciated)

١ - لن تنسى!

الأعمال المكتبية هي التي أبقت سادي موريسي مربوطة بسبنسر طياك، فهذا الأخير لا جدوى ترجى منه في هذا المضمار. ولو أن الأعمال المكتبية هي من ضمن مهامه لما أنجزت مطلقاً، ولما تيسر له القيام بأعماله. شركة طياك الاستثمارية هي شركة خاصة ناجحة جداً، وتتطور باستمرار، لأن سبنسر يملك عيناً ثاقبة، وحدساً داخلياً دقيقاً، ومبادىء استثنائية. وبالطبع لأن لديه سادي التي تهتم بكل التفاصيل.

إنها تقوم بهذا العمل منذ أن كانت طالبة في الثانوية، وهو بالكاد في الحادية والعشرين من عمره. والآن، بعد مرور اثني عشر عاماً، بات سبنسر يملك استثمارات متعددة في القارات الخمس.

لا بد أن أعماله تملأ العالم الآن، هذا ما تفكر به سادي أحياناً، غير أنها لا تستطيع الاستمرار في تحمل ذلك العمل. اعتادت أن يقول لها: «عليك أن تنظمي الملفات بسرعة أكبر»، ثم يبتسم لها تلك الابتسامة الفاتنة، لينطلق بعدئذٍ إلى لندن أو باريس أو أثينا أو نيويورك . . .

أما هي فتمسك بورقة وترميه بها، فيبتسم من جديد ويغمزها. تقاوم سادي الابتسامة، وتقاوم غمزته، وتقول له بضيق: «إنني منشغلة بما فيه الكفاية، شكراً لك. كما أنني لا أعمل فقط في ترتيب الملفات».

بالطبع هو يعرف ذلك. يعرف أن سادي هي من تبقي الأعمال منظمة، وهي التي يمكنها أن تضع يدها على الورقة المطلوبة في أية لحظة، وهي التي يمكنها أن تعقد اجتماعاً بين أشخاص من القارات الخمس في غضون دقائق، وهي التي يبقى دفتر ملاحظاتها مليئاً بالعناوين

والمعلومات.

إنه يقول ذلك ليزعجها فقط، ثم يبتسم لها من جديد، ويمطرها بعشرات الطلبات التي يريدها أن تقوم بها. بعدئذٍ يختفي، ليلحق بطائرة أخرى بينما تعود سادي إلى عملها.

حتى السنة الماضية كان لديها سبب هام للبقاء في بوت، فقد صممت على الاعتناء بجدتها العجوز. أما الآن فمضى ستة أشهر على وفاة جدتها، وها هما والداها يحثانها على القدوم إلى أورجون حيث يعيشان، بينما يعدها أخوها داني بعدد لا يحصى من المقابلات في شركات هامة في سياتل. لكن سادي لم تذهب، فهي تحب بوت بتاريخها الشهير وحياتها القاسية. إنها تحب تلك الأراضي الشاسعة، ولا تزال تعتبرها أفضل مكان على وجه الأرض. كما أنها تحب حياتها بكل ما فيها، وأهم ما فيها عملها. فهي وسبنسر عملا معاً بشكل رائع، كما أن العمل بحد ذاته مثير، ويتطلب منها مجهوداً دائماً، مع أنها تكاد تجن أحياناً بسبب العمل لساعات طويلة للقيام بأفضل ما يمكنها.

في بعض الأيام، كهذا اليوم مثلاً، تفكر سادي أنه يلزمها أذرعاً عديدة كالأخطبوط. لكن حتى ثمانية أذرع لن تكون كافية للتعامل مع مشاريع طياك للاستثمار التي راحت تتصارع معها في فترة ما بعد الظهر.

عملت على إنهاء تفاصيل اجتماع سبنسر في فيجي الأسبوع القادم. قامت سادي بتنظيم جدول الأعمال له ولمساعديه لقضاء أسبوع في إحدى جزر فيجي الصغيرة، في منتجع مخصص للمحبطين ولرجال الأعمال الذين يغرقون أنفسهم في العمل، وهو تحدٍ صارخ. فرجال الأعمال الذين يجولون العالم لتحقيق أهدافهم لا يملكون برنامج عمل يسمح لهم بتمضية أسبوع راحة حتى ولو في الجنة. قال لها سبنسر في آخر مرة ذهب فيها إلى بوت: «نحن لا نريد تمضية أسبوع راحة. نحن فقط نريد الذهاب إلى هناك لنرى المكان، ونحدد السعر، وإذا نجح الأمر، سنشتري المكان ونستثمر».

وافقته سادي قائلة: «هذا ما تريده أنت، لكن السيد إيزوغاوا يريدك أن تعيش تجربة السلام التي تريد أن تستثمر أموالك فيها».

هذا ما تم الاتفاق عليه وبمنتهى الوضوح خلال الحديث الأول الذي أجرته مع رجل الأعمال الياباني تاداهيرو إيزوغاوا. على الرغم من أن السيد إيزوغاوا يبحث عن شركاء، إلا أنه لا يريد فقط مجرد شركاء، بل شركاء يؤمنون بمفهوم المنتجع. لذا يريدهم أن يجربوا الإقامة فيه مباشرة.

تجهم وجه سبنسر، وعلّق: «تجربة السلام التي سنستثمر بها؟ نحن لا نريد تجربة أي شيء. نريد شراكة في المكان كله».

قالت سادي بصبر: «إنه يتوقع أن تذهبوا جميعاً، وتمضوا أسبوعاً هناك لتكتشفوا المكان جيداً، وتمتنوا الروابط العائلية لديكم».

- أنا ليست لدي عائلة.

- قل ذلك للسيد إيزوغاوا. إنه شخص متحمس جداً للزواج وللعائلة، ولهذا السبب هو يعمل بجد. لكنه يظن أن الأشخاص الذين يعملون بجد تختلط الأولويات لديهم في بعض الأحيان. وهنا تأتي الحاجة إلى «نانومي» وهي تعني التذكر.

السيد إيزوغاوا أخبرها بتلك الأمور عندما شرح لها أسباب رغبته في تطوير المنتجع. إلا أن سبنسر رفع حاجبيه بتلك الحركة المشككة التي تعرفها سادي جيداً. فرفعت كتفيها بلا اهتمام بدورها.

- الأمر يعود لك، لكنه يقول إن كنت تريد الدخول كشريك، فهو يريدك أن تمضي برفقة عائلتك أسبوعاً هناك لتجربة المكان.

أدار سبنسر عينيه متأففاً، لكن رغبته بالحصول على المنتجع انتصرت عليه. أخيراً رفع كتفيه وقال: «حسناً! سنفعل ما يريده. اهتمي بالأمر».

وهذا ما فعلته...

احتاجت إلى عدة أيام لتتأكد من خلو برنامج عمل كل من الشركاء للأسبوع القادم، وبعد ذلك قامت بكل ترتيبات السفر الضرورية من أقاصي العالم إلى الجزيرة التي يقع عليها المنتجع. خلال قيامها بعملها

أجابت عن آلاف الأسئلة من الزوجات المندهشات اللواتي اتصلن بها ليتأكدن أن اقتراح قضاء إجازة لمدة أسبوع في فيجي، هو فعلاً قيد التحقيق.

قالت لها ماريون تن ايك: «لم نحظَ يوماً بعطلة، فجون يعمل بصورة دائمة».

أما زوجة ستيف والكر، كاتي، فقالت الكلام نفسه تقريباً. كذلك زوجة ريتشارد كارستيرز، ليون، التي راحت تتصل بها يومياً لتسألها: «هل أنت متأكدة؟ أمتأكدة حقاً؟ وهل يعرف ريتشارد بالأمر؟».

رن جرس الهاتف من جديد، فأغمضت سادي عينيها وصلّت لتحظى بمزيد من الصبر؛ في الواقع هي ليست بحاجة لثماني أذرع، بل لثماني آذان أيضاً، هذا ما فكرت به باستياء وهي تمد يدها لتمسك سماعة الهاتف. قالت: «طياك للاستثمار».

وجاءها الجواب على شكل أزيز عبر الهاتف، يرافقه صوت من الواضح أن اللغة التي يتكلم بها ليست الإنكليزية.

– آه.. إيزوغاوا سان، كونيشي وا. كم يسعدني سماع صوتك!

حسناً! السيد إيزوغاوا هو الشخص الوحيد الذي لم تتحدث إليه اليوم.

– سيصل الجميع نهار الأحد. لدي كل التفاصيل عن رحلاتهم.

أعطته سادي المعلومات، وابتسمت عندما أبدى إعجابه وسعادته بما أنجزته. اكتشفت أن معرفة السيد إيزوغاوا برجال الأعمال الغربيين لا تتعدى رؤيته لهم في أفلام السينما. وبما أن سادي تعمل بجد وبسرعة السهم لإتمام هذا العمل، اعتقد أنها أعجوبة. أخذ منها الرجل كل المعلومات التي قدمتها له، ثم قال: «لا بد أن تأتي أنت أيضاً».

أجابت سادي وهي تبتسم: «شكراً لك. أحب أن أفعل ذلك، لكن لدي أعمال عليّ القيام بها هنا».

– وإن يكن! أنت تعملين بجهد كبير، ويجب أن تحظي بعطلة وبحياة

شخصية أيضاً.

كيف له أن يعلم أن لا حياة شخصية لديها؟

قال: «تحدثي مع سبنسر، وسينظم الرحلة بنفسه».

لا يأخذ سبنسر عطلة لنفسه. وهي تعلم أنه لا يرى أي سبب لأي شخص آخر ليفعل ذلك أيضاً. لا تتذكر سادي مطلقاً أنها أخذت أي إجازة، مع أنه يحق لها بعطلة مقدارها أسبوعين سنوياً. قالت للسيد إيزوغاوا: «ربما في يوم ما».

ومع ذلك، عندما انتهى الاتصال بالسيد إيزوغاوا، أخذت تفكر بما قاله. ليس بالذهاب إلى فيجي بالطبع، فليس لديها أية فرصة للقيام بتلك العطلة. لكن ربما يجب عليها التفكير بالرحيل... بالانتقال بعيداً.

لطالما تذمر روب مكونيل، الرجل الذي تواعده منذ أشهر، بسبب تفانيها في العمل. قال لها ذات مرة: «لا وقت لديك للقيام بأي شيء إلا عملك اللعين، أنت تضيعين شبابك سادي».

لم يكن من عادة روب التكلم بفظاظة، لكنها تعلم أنه يزداد توتراً وضيقاً بسبب رفضها الزواج به، ولأنها لا تريد أية علاقة معه. وهي لا تلومه، فهو رجل لطيف ومميز، وهو يريد الزواج وإنشاء عائلة. أخبرها ذلك بنفسه. كما أنه على حق، فهي لم تعد شابة. إنها في الثامنة والعشرين من عمرها، وإن كانت تريد أن تهتم بحياتها فعلاً، فهي بحاجة إلى القيام بأمر ما. وسادي تريد فعلاً أن تهتم بحياتها بكل جدية، لكن ليس مع روب. وتلك هي المشكلة!

ربما عليها الانتقال من هنا. إنها تفكر بالأمر منذ أن قدم شقيقها داني من سياتل لزيارتها الأسبوع الماضي، وقد أحضر زوجته والتوأمين البالغين من العمر سنة واحدة. يومها شعرت بصدمة قوية. فلطالما كان داني متمسكاً بحريته، ولا يرغب بأي قيد تماماً مثل سبنسر. رؤيتها لأخيها كرجل محب للعائلة، أربكتها وأثارت حيرتها.

قال لها في الليلة السابقة لرحيله: «من كان يظن أنني سأستقر قبلك».

بدا سعيداً وهو يجلس في غرفة الجلوس في منزلها، ويحمل كل طفل على ذراع. نظر إليها ببطء مفكراً، ما جعلها تنكمش تحت تلك النظرات المحدقة، وتابع: «أنت تعملين فقط وليس في حياتك أي مجال للتسلية».

قالت معترضة: «بل أنا أتسلى كثيراً».

- متى؟ وأنت تعملين سبع عشرة ساعة بدلاً من ثماني عشرة؟ تباً! أنت مهووسة بالعمل مثل سبنسر تماماً.

ردت عليه بغطرسة: «لدينا أهداف كبيرة».

صحح لها داني بقسوة الأخ الأكبر: «سبنسر لديه أهداف كبيرة. أنت فقط تستمرين بالعمل، وتنتظرين».

استدارت سادي بسرعة، وحدّقت إليه بغضب وهي تقول: «ماذا تعني بقولك هذا؟».

قابل غضبها بغضب مماثل وعلّق: «أنت تعلمين جيداً ما معنى ذلك».

- لدي عمل رائع.

- لكن، هل لديك حياة خاصة؟ هيا، سادي! أنت من كنت دائماً معتادة على تسمية أولادك وأنت تكبرين. لقد أصبحت تقريباً في الثلاثين من عمرك، وبالكاد تواعدين أحداً.

- أنا في الثامنة والعشرين، ولست في الثلاثين! وروب...

- أنت لست جادة في علاقتك مع روب ماكونيل. ابحثي عن شخص تشعرين حياله بعاطفة صادقة، وتزوجي لتحصلي على العائلة التي أردتها دوماً.

قالت بتصلب: «إنني بخير».

- أحقاً؟ هل أنت متأكدة من ذلك؟ بإمكانك الحصول على عمل في أي مكان. تعالي معنا إلى سياتل. هناك مئات الأشخاص الذين يتمنون مقابلتك. صدقيني، سبنسر لا يستحقك.

- أنا لا أواعد سبنسر.

قال داني: «الحمد لله! إنه صديقي، لكنه ليس من الأشخاص الذي يتزوجون ويستقرون، أليس كذلك؟».

هزّت سادي رأسها، وقالت: «أنا أعمل لديه، وهذا كل شي».

- استقيلي إذاً!

- لا أستطيع.

- لمَ لا؟ هل يملك سبنسر روحك؟

- آه! حباً بالله... بالطبع لا!

لكن وجهها اشتعل من الإحراج، وتمنت سادي ألا يلاحظ داني ذلك. لحسن الحظ، هزّ شقيقها رأسه مستغرباً وعلّق: «حسناً! المرء يتساءل فقط... فأنت تعملين لديه منذ سنين!».

- لأنه احتاج إلى المساعدة، وأنت تعرف سبنسر. إنه رائع في التنقل والتعامل مع الأعمال، فلديه قدرة كبيرة على العمل، لكنه ليس ماهراً في الأعمال المكتبية ولا في التفاصيل.

أما سادي فهي مميزة في كلا الأمرين. فهي تستطيع تنظيم كل شيء.

قالت تذكر شقيقها: «في مطلق الأحوال، لم أكن معه دائماً. لقد غادرت، أتذكر؟ ذهبت إلى الجامعة، وأمضيت أربع سنوات في جامعة يو. سي. أل. إي».

- ثم عدتِ إليه أيتها الحمقاء.

قالت سادي بإصرار: «عدت إلى العمل، فهو يدفع لي الكثير. بالإضافة إلى ذلك لدي نسبة من الأرباح في الشركة، حباً بالله! هل كنت أستطيع إدارة ممتلكات عبر العالم في مثل عمري، وأنا ما زلت أعيش في بوت؟».

- آه! صحيح. هذا هو الربح الإضافي. بوت! محور الثقافة الغربية في العالم.

بالطبع! بوت البلدة التي كانت غنية بالمناجم تستعيد مكانتها. فبعد فترة طويلة من الجمود الاقتصادي، ها هي تسير ببطء نحو الازدهار،

والفضل يعود إلى سبنسر وعدد من الشبان الذين أصروا على إعادة الحياة إليها. قالت سادي بصوت بارد وبانزعاج لأنه يسخر من البلدة التي نشأ فيها: «لا تكن ساخراً، ولا تتحدث بالسوء عن بوت. إنها البلدة التي ولدنا فيها. سبنسر لا يتحدث بالسوء عنها مطلقاً، مع أن لديه الحق بأن يفعل ذلك أكثر منك».

عاشت هي وداني طفولة ممتعة مع والديهما المحبين الهادئين على العكس من سبنسر. على رغم كل ما يملكه الآن من شهرة وشركات عالمية، لم يولد سبنسر طياك وفي فمه ملعقة من الفضة. قال ذات مرة وهو يبتسم باستياء: «ولا حتى ملعقة من نحاس». مشيراً بذلك إلى ماضي بوت وشهرتها السابقة بمناجم النحاس، وتابع: «لكنني ما زلت حياً».

أمّا الفضل في بقائه حياً فلا يعود مطلقاً لوالديه. ما زالت سادي تتذكر جد سبنسر، فقد كان لطيفاً وحنوناً، لكن الرجل العجوز توفي عندما كان سبنسر في العاشرة من عمره. ومنذ ذلك الوقت أصبحت حياته كالجحيم. والده المستهتر لم يكن قادراً على الاحتفاظ بأي عمل لفترة محددة، ومن النادر أن يعود إلى المنزل إلا ليتشاجر مع زوجته أو ليضرب سبنسر. أما أمه التي ذاقت الأمرين من زوجها فوجدت لنفسها حلاً بصب جام غضبها على ابنهما الوحيد.

لم يسمح سبنسر لسادي يوماً أن تضع قدمها في منزله وهما صغيران، إلا أنها كانت تقترب من منزله في بعض المناسبات، وتسمع أمه وهي تصرخ به: «أنت مثل والدك تماماً!».

لكنه ليس مثله، ولا حتى شبيهاً به.

على العكس من والده، كان سبنسر دائماً مندفعاً. عندما كان تلميذاً يافعاً في الثانوية، صمم على أن يكون أكثر التلاميذ إهمالاً في صفه.

أصر المسؤول عن سلوك التلاميذ المهملين على عقد اجتماع معه في المقبرة قرب ضريح جده، وهذا الأمر وضع حداً نهائياً لجنوحه وإهماله. بعد ذلك قرر سبنسر أن يصبح مفخرة لجده العجوز. قرر أن ينجح، وأن

يحقق كل طموحات جده، وأن يصبح أفضل رجل يستطيع أن يكونه.

راح يعمل حيثما تيسر له العمل، وفي أي وقت استطاع تأمينه. ادخر المال بشدة إلى أن اشترى منزله الأول. ربما يكون إطلاق تسمية «منزل بحاجة إلى ترميم» على ذلك المنزل أمر مبالغ فيه، إذ لم يكن ما اشتراه أكثر من زريبة ذات سقف تتسرب المياه منه.

لم يلبث أن بدأ العمل في المنجم للحصول على مال إضافي، وذلك بقيادة الشاحنات طوال النهار، ثم العودة للعمل في المنزل معظم الليل. بعد مرور عدة أشهر باع ذلك المنزل محققاً ربحاً مكنه من شراء منزل آخر، وهذا ما فعله مراراً وتكراراً. ما إن أصبح سبنسر في الثانية والعشرين من عمره حتى تمكن من الحصول على قرض مالي للبدء بأول عمل تجاري له.

في ذلك الوقت استخدم سادي لكي تنظم الفوضى التي تسود أعماله المكتبية. أما مقر العمل فكان شاحنته، إذ لم يكن لديه مكتب في ذلك الحين.

وهكذا عملت سادي لمدة سنة كاملة، في مؤخرة الشاحنة التي كانت بمثابة مخيم له، مستعملة ضوءاً يعمل على البطارية ودرجاً للملفات يمكنها حمله في صندوق خاص. كان ذلك عملاً بدائياً، لكنه نجح في تنظيم الأعمال. خلال تلك السنة أصبح لدى سبنسر مبنى ثم اثنان، وخلال سنة التخرج من الثانوية حصلت سادي على أول مكتب لها.

شعر بالغضب الشديد عندما أخبرته أنها ستغادر لتذهب إلى الجامعة في كاليفورنيا. يومها قال معترضاً: «هيأت لك مكتباً، واعتقدت أنك ستعملين لدي».

أجابت سادي: «ليس إلى الأبد».

المسألة هي أنها لا تستطيع ذلك، فالأمر يتعلق بسلامتها. فكرة العمل مع سبنسر إلى الأبد تهدد تلك السلامة، لأنها مغرمة به. وفي الواقع، هي لا تستطيع أن تتذكر متى بدأ ذلك. لم يكن سبنسر يعلم بحبها له، والحمد لله. وقد يغضب إذا علم لأنه بكل تأكيد ليس مغرماً بها.

وهكذا رحلت إلى «يو. سي. أل. إي» لتبتعد عنه.

أملت أن تتعلم الكثير، وأن تحصل على عروض عمل رائعة، وأن تقابل رجلاً يجعلها تنسى سبنسر. هذا كان مخططها على الأقل، مع أنها كانت تعود إلى بلدتها كل صيف لمساعدة سبنسر في أعماله، لأنه رفض أن يستخدم شخصاً آخر ليأخذ مكانها وهي غائبة. قال لها حينها: «لا داعي لذلك، فالعمل يمكنه الانتظار، كما أنك ستعودين إلى البلدة، في مطلق الأحوال».

وهذا ما حدث. كانت تعود كل صيف لترى والديها، وجدتها. لكنها لم تكن ترغب في العودة بصورة دائمة... أبداً. تعلمت الكثير، وتخرجت بدرجة شرف، وحظيت بعدد كبير من عروض العمل الرائعة، بما فيها عرض سبنسر. جاء سبنسر إلى حفلة التخرج، وقال لها برقة: «أشعر كأنني حصلت على فائدة إضافية بحصولك على شهادتك الجامعية في إدارة الأعمال».

وبعد ظهر ذلك اليوم عرض عليها العمل لديه. وعدها بأجر مميز، وبمكتب جديد بالكامل في أحد مباني بوت التاريخية التي كان يعمل على تجديدها. كما عرض عليها نسبة من أرباح شركته الكبيرة.

اتسعت عينا سادي من الدهشة وقالت: «نسبة من أرباح الشركة؟».

لكن سبنسر رفع كتفيه ببساطة وقال: «لمَ لا؟ أنت عملت مثلي تقريباً لوضع طياك على خريطة الشركات العالمية. وأنت تستحقين حصة فيها. إذاً، ما ردك؟».

بدت صفة قلة الصبر التي تميز شخصيته واضحة جداً في عينيه. لم تدرِ سادي ما الذي ستقوله، فابتسامته التي تجعلها تذوب من الداخل لا تزال تسبب لها ارتجاف ركبتيها، وجسمه الفارع الطول والمتناسق يجعلها ترتجف كلما رأته. وعندما ينظر إليها بتينك العينين بنعومة ولطف تشعر بقلبها يقفز في صدرها.

فكرت بحزن أنها حالة ميؤوس منها. وما تحتاجه هو علاج بصدمة

ما، لذا فهي تحتاج إلى الغوص بشكل كامل في عالم سبنسر طياك. وهذا بدون شك سيشفيها من أوهامها.

وهكذا قالت نعم!

وها قد مضت ست سنوات تقريباً على عودتها.

حدث الكثير من الأمور خلال تلك السنوات. عملت كل ما في وسعها لتتمكن من التخلص من حبه. وقالت لنفسها إنها نجحت في ذلك. واعدت رجالاً غيره، لكن أياً منهم لم يجعل قلبها يضطرب بشدة كما يحدث لدى رؤية سبنسر.

قالت لداني: «أحب العمل لديه، إنه مليء بالحماس والترقب!».

فسبنسر دائم التنقل، وهو ينوع في أعماله. لديه الآن ممتلكات في سبعة بلدان، وهو يملك شققاً وڤيلات، ومباني للمكاتب وملكيات خاصة موزعة في بلدين منها. لديه دوماً أفكار جديدة، وهو يتحدث معها باستمرار عن تلك الأعمال طالباً رأيها. فهما يتحدثان ويحللان وقد يتشاجران دائماً معاً.

لطالما قال لها شقيقها: «أنت مرتبطة به وكأنك مشدودة بوثاق». قد لا تكون لديها حياة خاصة بها، لكنها مرتبطة بعمله المميّز. فالأسبوع الماضي ذهب سبنسر إلى هلسنكي لينهي اتفاقاً متعلّقاً بمبنى مخصص للمكاتب، وهذا الأسبوع سافر إلى نيويورك لإنهاء صفقة متعلقة ببعض الشقق المخصصة للاستثمار مع أب وابنته، طوم ودينا ولسون، حيث قامت بينهم أعمال مشتركة في الماضي. والأسبوع المقبل سيصبح شريكاً في منتجع في جنوب الباسيفيكي، إن حالفه الحظ.

تماماً كما ذكّرها أولاً داني والآن السيد إيزوغاوا. أما هي فستكون في بوت، تنهدت سادي بحزن.

إنها الساعة الخامسة، وأصبح بإمكانها المغادرة. ربما ستحظى ببعض اللحظات الخاصة بها، مع أن لديها كومة من الملفات.

رنّ جرس الهاتف من جديد، فأمسكت به بتردد: «شركة طياك

www.elromancia.com

للاستثمار. أنا سادي».

سمعت صوتاً دافئاً كالمخمل يقول: «قولي نعم. تزوجي بي، عزيزتي!».

ابتسمت سادي وقد عرفت صاحب الصوت. إن كان هناك رجل غير سبنسر، يجعل المرأة تضطرب شوقاً، فلا بد أنه ماتيوس غونزالز، والمشكلة أنه يعرف ذلك.

قالت: «مرحباً ماتيوس. أوبريغادا. لكن لا. ما زلت لا أريد الزواج بك. وسبنسر في نيويورك».

تنهد قائلاً: «أنا لا أريد الزواج بسبنسر، أريد الزواج بك، وإبعادك عن رئيسك الذي يستعبدك».

هذا النقاش جرى بينهما عشرات المرات. فمنذ المرة الأولى التي أحضر فيها سبنسر صديقه البرازيلي إلى بوت، سُحر ماتيوس بجمالها، وأخذ يغازلها ويتودد إليها كالمجنون. ومنذ ذلك الوقت لم يتوقف عن الإلحاح عليها بالقدوم إلى ريو والزواج به. قال لها الآن: «الحياة أشبه بحفلة دائمة في ريو، عليك أن تتخلي عن ذلك المهووس بالعمل، وتأتي للعمل معي».

ضحكت سادي مما قاله، وأجابت: «أنت تعمل مثله تماماً».

- لكنني آخذ الكثير من الإجازات، ما رأيك بذلك؟

- ربما سأذهب لزيارة مدينة ريو يوماً ما.

ثم قطعت عليه إمكانية التحدث إليها بأمور بعيدة عن العمل، بقولها: «والآن بماذا أستطيع أن أخدمك؟».

بسرعة بدل ماتيوس كلامه كما يفعل عادة: «أحتاج إلى التحدث إلى سبنسر بشأن بناء في ساوباولو».

- سأخبره بذلك.

- اعطيني رقم هاتفه النقال.

- إنه يتركه مقفلاً على الدوام.

إلاّ إذا كان يتوقع اتصالاً من أحدهم. يقفل سبنسر هاتفه دائماً، فيما

يتوقع منها أن تبقي هاتفها في الخدمة دوماً ليتمكن من الاتصال بها في أي وقت. تابعت: «عندما يتصل بي، سأطلب منه أن يتصل بك».

قال: «أوبريغادو. وقولي له إن لديّ عرضاً له، وواحداً لك».

قالت بحزم: «أنا لن أتزوج بك، ماتيوس».

وافق بحزن: «حسناً! لا زواج. لكن قولي إنك ستأتين للعمل عندي. سأفتح مكتباً في تكساس. وبإمكانك أن تديريه ويدك مربوطة وراء ظهرك».

قالت موافقة لأن ذلك أسهل من التجادل معه: «حسناً! سأفكر بالأمر».

قال واعداً: «سنتحدث بذلك في ما بعد، وداعاً».

- وداعاً، ماتيوس.

انتهى الاتصال، فحملت العقود مصممة على أن تأخذها معها إلى المنزل لتقرأها هناك. في تلك اللحظة رنّ جرس هاتفها النقّال، وعندما أدركت من المتصل تجهم وجهها. قالت بضيق وهي تمسك بالهاتف: «الساعة تجاوزت الخامسة».

- وإن يكن؟

صوت سبنسر العميق يجعل دقات قلبها تتسارع، حتى عندما تكون غاضبة منه. تباً له!

أجابت بغضب: «لدي حياة أريد أن أعيشها».

- آه! من الذي أثار غضبك هكذا؟

أرادت أن تقول: أنت. مع أنها فعلاً منزعجة من نفسها.

- كان المكتب اليوم كمصح للمجانين.

- حسناً! يسعدني أن أسمع ذلك.

هذا ما افترضته قبل أن يتفوه به. تابع بضيق: «أريدك أن تقومي بخدمة لي».

أمسكت سادي بقلمها، جاهزة لتكتب ما يريده، لكنه لم يقل أي

شيء»، فاستغربت وقالت: «سبنسر؟».

- أجل.

بدا مشتتاً فجأة. حتى كلامه السريع ازداد سرعة وهو يقول: «لا أهمية للأمر. أريدك فقط أن تحضري لي شهادة ميلادي ووثيقة الطلاق، وتأتي بهما إلى نيويورك».

. شعرت كأن أحدهم ضربها بقبضته على معدتها. تجمدت حواسها للحظة، ثم قالت:

- تريدني أن أفعل. . . ماذا؟

- سمعتني! أريد شهادة ميلادي ووثيقة الطلاق. أنا بحاجة إليهما غداً في نيويورك.

لطالما اعتقدت سادي أن التنفس عمل لا إرادي، أما الآن فلم تعد متأكدة من ذلك.

أصبح صوته جدياً الآن: «سادي! هل أنت معي؟ هل تسمعينني؟».

تمكنت من القول: «أسمعك».

- حسناً! فقط أحضري الورقتين واقفزي إلى أية طائرة الليلة أو غداً صباحاً، لتصلي إلى هنا عند الساعة الثانية بعد الظهر.

لم تجبه. . .، فقط حدّقت بصمت بالقلم الذي كسرته بيد.

- سادي!

أجابته بغضب الآن: «نعم، أسمعك».

- حسناً! هذا أمر جيد.

توقف قليلاً عن الكلام قبل أن يكمل: «بإمكانك تهنئتي».

- علامَ؟

مع أنها خمّنت السبب من دون أن تسأل، غير أن ذلك فاجأها حقاً.

- لأنني سأتزوج.

لم تستطع إلاّ أن ترد بسخرية: «أحقاً؟ ألا تعتبر نفسك متسرعاً قليلاً؟ أقصد. . . إن فكرت بسجلك السابق وبكل شيء؟».

قالت لنفسها: اصمتي! اصمتي!

ردّ بصراحة: «سيكون الزواج ناجحاً هذه المرة، وليس كما حدث مع إميلي».

قالت سادي: «لم أكن أفكر بإميلي، فأنت لم تتزوج بها».

قال بضيق: «أتذكر من تزوجت».

وهي أيضاً تتذكر جيداً. . . لقد تزوج بها!

جاء ذلك الزواج كردة فعل بعد أن تخلت عنه الجميلة إميلي مولينكس في لحظات زفافهما في لاس فيغاس. بدا يومها وكأن كل طاقته هجرته فانهار تماماً. يأسه ذكر سادي بطفولته المؤلمة عندما تخلى عنه والده وبقيت أمه لتصب غضبها عليه.

وهكذا عندما خرج من مكتب الزواج والخوف باد في عينيه، سارت سادي وراءه غير متأكدة مما قد يفعله في نفسه. لم تتخيل مطلقاً أنه بعد مرور عدة ساعات سيقرر أن يتزوج بها. لكن هذا ما فعله. بدا مصراً جداً، إذ قال لها بحزم: «ستتزوجين بي».

تابع بإصرار عندما التزمت الصمت: «أليس كذلك؟».

كانت لحظة صدق، ولم تستطع سادي التهرب منها، فأجابت: «إذا طلبت مني ذلك».

وهذا ما فعلاه. . .

تزوجا في غضون ساعة واحدة.

حصلا على أوراق الزواج، وأقاما المراسم. وعادا إلى جناح شهر العسل ليعيشا أجمل ليلة قضتها سادي في حياتها؛ ليلة مليئة بالحب والعاطفة. . . ليلة أصابتها بالاندهاش والانبهار. . .

استيقظت في صباح اليوم التالي في جناح شهر العسل فوجدت أن سبنسر قد استيقظ وارتدى ثيابه، وهو يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً، ويمرر يديه في شعره، ويقول: «كان ذلك خطأً كبيراً».

بالكاد استطاعت سادي أن تفتح عينيها عندما أتى ووقف فوق

www.romancia.com

رأسها، وقد ظهرت على وجهه تعابير الألم والقسوة.

- ما كان يجب أن يحدث ذلك مطلقاً، ما كان علينا . . . تباً! ما كان عليّ. .

هزّ رأسه كأنه لا يصدق ما حدث، وتابع: «أنا آسف! سادي. لم أقصد مطلقاً، تباً! لم أعرف ما الذي فكرت به! لكن ستسير الأمور على ما يرام. لا تقلقي. سنحصل على الطلاق».

- الطلا . . ق؟

هذا كل ما تمكنت من قوله. وحدّقت به وقد فغرت فمها.

هزّ رأسه بسرعة، وقال بحزن: «حسناً! قد لا نستطيع إلغاءه، لكن ذلك لن يشكل أية مشكلة. أعدك بذلك. سأتولى الأمر بنفسي».

بدا قوله قاطعاً ومصمماً. تماماً كما صمم على الزواج بها منذ اثنتي عشرة ساعة صمم الآن على طلاقها. لا بد أن ذلك أقصر زواج ممكن. تذكرت سادي ذلك وهي ترمش بعينيها محاولة أن تبتلع غصة تملأ حلقها.

هل كان زواجهما مرعباً إلى هذه الدرجة؟ هل كان حقاً خطأً مروعاً؟

يومها لم يبدُ لها أن الوقت ملائم لتعلن له عن حبها الدائم. هزّت رأسها ببساطة، وقالت كأنها تختنق: «حسناً!».

نظر سبنسر إليها باهتمام وقال: «هل أنت بخير؟».

أن تتزوج ثم تجد نفسها مرمية في الفراغ في أقل من نصف يوم هو تماماً ما تحتاجه الفتاة لتشعر بثقة مطلقة بالنفس! قالت بصوت ثابت قدر ما تستطيع: «إنني بخير، لماذا تسأل؟».

- لم أقصد ذلك. . أنا فقط. . . آسف.

ارتجف قبل أن يتابع: «لا أعلم بما كنت أفكر. آسف! آسف بشأن الزواج، وآسف بشأن. . .».

توقف عن الكلام. ونظر بعيداً عن وجهها وعن الغطاء الذي يلف جسدها.

شعرت سادي على الفور بالحزن على نفسها. أهو آسف لأنهما حققا

الزواج؟ أهو آسف لأنه أقام علاقة حميمة معها؟

قال: «لا تفكري بالأمر. سأتولى أمر كل شيء، ليس عليك حتى أن تذكري ما حدث».

أهو خائف من أن تفعل ذلك؟ هل يخشى أن تصعد إلى أعلى مبنى وتصرخ أن الرجل التي تزوج منها منذ اثنتي عشرة ساعة يتخلى عنها؟ حدّقت به، من دون أن تتفوه بأية كلمة.

- تبدين متعبة. . . لا بد أنك كذلك. عودي إلى النوم. . الجناح محجوز حتى نهار الأربعاء. ابقي هنا إن رغبت بذلك.

وكأنها ستبقى في جناح شهر العسل بمفردها، بينما زوجها يعمل على الطلاق!

تابع سبنسر بسرعة، وقد اخطأ باستيعاب النظرة المروعة التي ظهرت على وجهها: «لن أبقى معك. اتصلت بسانتياغو هذا الصباح. سأذهب إلى برشلونة قبل عدة أيام من الموعد المقرر. لكنني سأنظم معاملات الطلاق قبل أن أذهب، اتفقنا؟».

رفعت سادي كتفيها. فماذا يمكنها أن تفعل غير ذلك؟ رآها ترفع كتفيها، فابتسم لها رغم التوتر الواضح على وجهه، وقال: «ستسير الأمور على ما يرام، أعدك. لن تتبدل الأمور بيننا، أليس كذلك؟ سوف تستمرين بالعمل معي».

- أتريدني أن أتابع العمل معك؟

- أجل. لا داعي لإثارة أي توتر أو قلق بيننا. نحن صديقان.

قال ذلك بإصرار وبجدية مطلقة. ولمَ لا؟ فليلة البارحة لم تعنِ له أي شيء. إنه مجرد خطأ بسيط. إنه يريدها صديقة لا زوجة له، وهو سيعالج هذا الأمر بأسرع ما يمكنه.

لم تدرِ سادي ما الذي ستقوله.

قالت: «سأبقى. . . لهذه الفترة».

ابتسم لها سبنسر، تلك الابتسامة المثيرة الفاتنة التي أمضت سادي

سنوات تقاومها.

- علمت أنك ستوافقين. سأتصل بالمحامي من المطار وأجعله يقوم بكل الترتيبات اللازمة. سأتصل بك غداً من برشلونة، لكن لا تقلقي. اعتبري أن الأمر منتهٍ.

أمسك بحقيبته، وخرج من الباب بسرعة.

* * *

في صباح اليوم الأول الذي عاد فيه إلى المكتب، بعد مرور شهر، قال لها: «لا تقلقي، انتهى كل شيء. حصلت على أوراق الطلاق. وتمت معالجة الأمر بالكامل».

وهكذا انتهى زواجها السريع، ولم يذكر سبنسر الأمر ثانية، ولا هي فعلت. فكرت به كثيراً، بالطبع، ولمرات عدة في الشهور الأولى. لحظة بلحظة تقريباً. لكن في نهاية الأمر تمكنت من التخلي عن التفكير به، وكأنه حدث لها في عالم آخر. كأنه حلم، أو بالأحرى... كابوس.

حصل ذلك منذ أربع سنوات والآن ها هي تقول: «لا أعلم أين هي الأوراق».

- إنها في خزنتي، وأنت لديك المفتاح.

- نعم. لكن، الزواج...؟

- إنه زواج عمل، سادي. هل اعتقدت أنني وقعت في شباك الحب؟ إنها لا تعرف حقاً بما تفكر. رددت كلامه: «زواج عمل؟».

- سأتزوج من دينا ولسون. ممن اعتقدت أنني سأتزوج إذاً؟ أمن فتاة التقطتها من الشارع؟

- أنا...

- أنا ودينا لدينا إمكانيات هائلة. سنتمكن معاً من مضاعفة أرباحنا ومضاعفة إنتاجنا.

- نعم. لكن غداً...

- سنتزوج قبل أن أتوجه إلى فيجي. آه! هل بإمكانك أن تحجزي

بطاقة سفر لدينا؟

ودت لو تقتله.

- يمكنك القيام بذلك غداً من هنا. فقط أحضري الأوراق، وكوني هنا في المحكمة بعد ظهر الغد. سيتم عقد القران عند الساعة الثانية. سأحجز لك غرفة في فندق خيالي لمساء الغد لأعوضك عن المجهود الذي ستبذلينه. اتفقنا؟ البلازا؟ أم ترغبين في فندق آخر؟ فقط اذكري الاسم الذي تريدينه. اعتبري الأمر عطلة. اتفقنا؟ علي الذهاب الآن، فها هما طوم ودينا يدخلان للتو من الباب. أراك غداً.

سمعت صوت إقفال هاتفه، وظلت للحظات تصغي إلى رنين هاتفها المتقطع. وقفت سادي تحدّق بالهاتف في يدها وهي تشعر كأن الأرض قد انهارت من تحت قدميها محطمة كل عالمها المنظم.

* * *

- أين هي بحق الجحيم؟

نظر سبنسر إلى ساعته للمرة العاشرة في غضون خمس دقائق، ومرر أصابعه في شعره غير المرتب. راح يسير بخطى واسعة في مدخل المحكمة طوال الثلاثة أرباع الساعة الماضية.

وصل قبل ساعة من الوقت المحدد ليكون هناك ساعة وصول سادي، فهو غير متأكد من ساعة حضورها. ليلة البارحة أقفل هاتفه خشية أن يتلقى اتصالاً منها لتقول له إنه يقدم على عمل خاطىء.

زواجه المزيف من إميلي كان عملاً خاطئاً. لا شك بذلك! منذ أربع سنوات عندما رغب بالزواج من إميلي مولينكس كان فاقداً لرشده. وضحية حماس شبابه، وافتتانه، من دون أن يذكر تصميمه على الزواج من امرأة جميلة، تملك أسرتها شهرة كبيرة وأموالاً لا تحصى. أما زواجه من سادي، فالله وحده يعلم ما الذي دفعه إليه بعد اختفاء إميلي وعدم ظهورها أمام القاضي. تلك كانت غلطة أكبر.

ما كان عليه أن يفرض نفسه عليها. وأن يتقدم لها، وأن يضعها في

موقف كهذا. في تلك اللحظة كان فاقداً لرشده. . . مجنوناً. . . مرفوضاً. تلك الكلمة لا تزال تؤثر به، وتجعله يجفل. رفض إميلي له أكد له أعمق مخاوفه. تماماً كما كانت أمه تقول إنه عديم الفائدة! هكذا تحول إلى سادي، واستغل صداقتها الثابتة ليشفي جرحه، وليرمم ثقته بنفسه ولو لفترة قصيرة جداً. كان من السهل عليه القيام بذلك. تباً له! فمع كل القوة التي تملكها لتتشاجر معه من أجل عروضات العمل، تبين له أنه يسهل التأثير عليها عندما يتعلق الأمر به. . .

عندما استيقظ في الصباح ووجدها في السرير بقربه، وتذكر كيف أمضيا الليل، شعر بالرعب مما فعله. يا إلهي! سادي لديها صديق، وهو لم يهتم للأمر البتة.

في ضوء الصباح شعر بالندم الشديد. علم أنه ارتكب خطأ فادحاً وهكذا فعل كل ما في وسعه لتصحيح ما قام به.

أما هذا الزواج فهو زواج عمل، ببساطة وبكل وضوح. هو ودينا لديهما الأهداف نفسها، وستسير الأمور على ما يرام. فكّر وهو يرفع طرف كمه، ويحدّق بغضب بساعته؛ هذا إذا ظهرت سادي!

لم يكن يعلم أين هي أو في أي وقت يُتوقع وصول طائرتها. كان باستطاعته أن يعلم لو أنه ترك هاتفه النقّال مفتوحاً. ذكر نفسه بذلك باستياء، لكنه لم يفعل. لم يرغب في التحدث معها ليلة البارحة، خشية أن تحاول إقناعه بالتخلّي عن هذا الزواج.

وبالتالي لا فكرة لديه أين هي سادي أو متى يُتوقع وصولها. حاول أن يتصل بها، لكن هاتفها مقفل. هو يعلم بالطبع أنها إن كانت لا تزال في الفضاء، فهي لا تستطيع أن تتلقى أي اتصال. لكن حباً بالله! من الأفضل أن لا تكون في الفضاء الآن. فالمراسم ستبدأ بعد أقل من خمس عشرة دقيقة. قالت دينا وهي تقترب منه: «حسناً! من المؤكد أن سادي ستصل في اللحظة الأخيرة».

قالت ذلك وهي تبتسم ابتسامتها المعهودة، لكن أثراً للتوتر ظهر حول

فمها.

- ستصل إلى هنا في الوقت المناسب.

- بالطبع. فقط أعلمني عندما تصل. سأذهب الآن لأن عليّ مراجعة بعض الأوراق.

عادت إلى الغرفة، وتابع سبنسر السير بخطى واسعة في المدخل. راح يعقد أصابعه ثم يضغط على كفيه، ويعاود محاولة الاتصال بها من جديد.

بعد مرور عشر دقائق فتح باب غرفة القاضي، وظهر طوم والد دينا ليقول: «لديّ اجتماع مع سوبار في سافانا عند الساعة التاسعة. لنبدأ عملنا وننهي الأمر».

- لم تصل سادي بعد.

- أنت لن تتزوج سادي.

- ستحضر لي أوراق الثبوتية. شهادة ميلادي، ووثيقة الطلاق.

لم يكن يرغب في ذكر طلاقه، لكن بالطبع عليه أن يذكر ذلك. رفعت دينا حاجبيها لسماعها هذه الأخبار، لكن بعد قليل رفعت كتفيها بلا اهتمام وقالت: «هذا لا يشكل أي فرق لدي».

- وقعا عقد الزواج الآن، ويمكنك العمل على إتمام المعاملات في ما بعد.

- من دون سادي؟

- ولمَ لا؟ لا أهمية للأمر أليس كذلك؟

قال طوم ذلك بنبرة رجل يتعامل مع القوانين حسب الظروف، ثم نظر إلى ساعته باهتمام.

رفع سبنسر كتفيه وقال: «بالطبع لا».

ما يقوله طوم عملي ومنطقي فهذا يوفر أفضل إمكانية لاستعمال الوقت والطاقة. وجود دينا بجانبه سوف يساعده على تطوير أعماله بقوة كبيرة في المستقبل، وتُحل مشكلة السيد إيزوغاوا ورغبته برؤية العائلة السعيدة، كما سيبعد عنه زوجة أحد شركائه التي تتقرب منه وتتودد إليه

www.elromancia.com

على الدوام، والتي لم تتوان عن دخول غرفة نومه الشهر الماضي في برشلونة. فكر أن وجود زوجة برفقته يمنع حدوث مثل ذلك الأمر بشكل مطلق.

يعرف سبنسر أن طاداهيرو إيزوغاوا يرغب باجتماع سعيد للعائلات، كما قالت سادي. هذا ما سيحصل عليه الرجل، ولو أن تجربة سبنسر الشخصية في هذا المضمار ضئيلة جداً. لكن زواجه من دينا قد يحل مشكلته، ويخلق لهما فرصاً رائعة في المستقبل. وهذا بالطبع كاف ليسعده. أما دينا فتفهمت على الفور موقفه وقالت له بعد تفكير مختصر: «اقتراح ذكي. سنفعل ذلك من أجل العمل، والمتعة أيضاً بالطبع. لكن لا مجال لوجود أطفال. هذه هي شروطي».

وافق سبنسر على الفور، فتلك هي شروطه أيضاً. والآن، أين هي سادي بحق الجحيم؟

ابتسم طوم وقال: «سأحضر دينا».

ثم ظهر بعد لحظات ودينا برفقته، وهي لا تزال تحمل حقيبة المكتب. بعد لحظات فتح الباب ودخل القاضي. أمسك سبنسر بذراع دينا وسار برفقتها ليقفا أمام القاضي. الذي بدأ بالتحدث بسرعة بكلام رتيب خال من أي معنى. لم يفهم سبنسر منه شيئاً، لكن هذا لا يهم. الأمر الوحيد الهام هو قوله: نعم، أريد الزوج بها في الوقت المناسب، وإيجاد سادي...

فجأة سمع صرير باب يفتح من ورائهم، فأدار رأسه على الفور. سادي!

من الصعب القول إنها سادي الهادئة الواثقة من نفسها التي يتوقع وصولها. سادي هذه مشعثة الشعر، وعيناها حمراوان، وهناك بقع سوداء تحتهما، وقد بدت بشرتها شاحبة لدرجة أن النمش يكاد يبرز من خديها. أما النظرة التي رمقته بها فجعلتها تبدو كغزالة سلطت عليها أضواء الطريق، غزالة تحمل ملفاً أحمر وتشده إلى صدرها. قال القاضي بصوت

كالزئير: «لا تقفي هناك، أيتها المرأة الشابة. اجلسي. لا أملك النهار بطوله. لا وقت لدي».

- أغلقت سادي الباب وجلست.

بدأ القاضي من جديد، مردداً المزيد من القوانين. تحدث عن السلطة الممنوحة له من سلطة نيويورك، وتابع بإلقاء الكلام. سمع سبنسر من وراءه شخصاً ما يتحرك على مقعده بعصبية. أهي سادي؟

- يجب التحقق إن كانت هناك عوائق قانونية تمنع حدوث هذا الزوج. هل هناك أي اعتراض؟

ومن دون أن يتوقف للحظة، تابع يقول؛ «لا! إذاً سنتابع وننتقل إلى...».

صاحت سادي: «نعم!».

استدار سبنسر على الفور وحدّق بها، كذلك فعل طوم ودينا. سألها القاضي: «هل تعترضين، أيتها الشابة؟».

- أنا... آه..! نعم.

حملق القاضي بها وقال: «على أي أساس تفعلين ذلك؟».

تجهم وجه سبنسر بغضب شديد. ما الذي تفعله بحق السماء؟ رمته سادي بنظرة غير واضحة، ثم أعادت انتباهها إلى القاضي من جديد، وقالت: «إنه متزوج، وأنا زوجته».

٢ - أريد حلاً

حدّق سبنسر بها وسألها: «ماذا؟».

ارتخى فك القاضي، وظهرت على وجهه تعابير الدهشة، أما عينا طوم ولسن فكادتا تقفزان من وجهه، وفتحت دينا فمها. تفهمت سادي دهشتهم تماماً، فقد حدث معها الأمر نفسه.

بلّلت شفتيها، وقامت بمحاولة فاشلة لتبتسم ولو قليلاً. قالت كأنها تعتذر من القاضي ومن طوم ودينا: «أخشى أن أقول... إنها الحقيقة!».

لكن في الوقت الذي وصلت نظرتها إلى سبنسر تمنت ألا يظهر أي اعتذار في عينيها.

- عمَ تتحدثين؟ حدث ذلك من سنوات عدة! وأوراق الطلاق..

قالت سادي: «نحتاج إلى التحدث عن ذلك».

قال سبنسر: «لا شك أننا نحتاج إلى التحدث معاً».

لاحظت سادي أنه وجه نظرة اعتذار إلى دينا. ثم سار نحوها وأمسك ذراعها بطريقة لا يمكن وصفها باللطيفة، وقال: «تعالي معي!».

ناداه طوم قائلاً: «لا تتأخر، لدي موعد وعلي اللحاق بالطائرة».

لم يجب سبنسر. أخرجها بسرعة من الغرفة إلى المدخل، ثم نظر حوله إلى الناس الذي يروحون ويجيئون في الممر، ثم فتح باباً يؤدي إلى غرفة جانبية وقال: «ادخلي!».

رفس الباب بقدمه ليغلقه ثم أدارها لتواجهه، وقال غاضباً: «ماذا تعتقدين أنك تفعلين بحق الجحيم؟».

أجابته بهدوء: «أحاول أن أمنعك من ارتكاب خطأ كبير».

- لا تكوني سخيفة! بالكاد نستطيع أن نسمي ما حدث بيننا زواجاً.
- لكنه زواج شرعي تماماً.
- قدمت طلباً للطلاق في اليوم التالي.
- دعني أصحح لك: اتصلت بالمحامي وطلبت منه أن يتولى الأمر!
- وهذا ما فعله! حصلت على الأوراق.

صححت له من جديد: «حصلت على ملف لم تفتحه».

ظهر الضيق على وجهه وقال: «لم أرغب في النظر إليها، هل كنت لتفعلين؟

- لا! لكن كنت لأتأكد من أن الطلاق حدث فعلاً.

هزّ رأسه مستغرباً وسألها «إذاً، ماذا هناك في الملف؟».

تجهم وجهه وهي تسحب المغلف من حقيبة خاصة بالأوراق والمستندات. أخرجت الأوراق من المغلف وراحت تعرضها عليه. الورقة الأولى هي مجرد رسالة لشكره لأنه اتصل بشركة المحاماة تلك، يقولون فيها إنه يسعدهم أن يستلموا قضيته إن رغب ببساطة في تعبئة الأوراق المرفقة بالرسالة، والتي تفيد بأنه يقيم في نيفادا.

خلصت الرسالة إلى القول: «ليس هناك أية مشكلة. نحن متخصصون في تصحيح مثل هذه الأخطاء، وسنتابع الملف ما إن ترسل لنا عنوانك في نيفادا وتملأ الأوراق الضرورية».

حدّق سبنسر بالأوراق، ثم تصفحها، قرأها مرة بعد مرة. أخيراً رفع نظره وقال بغضب: «تباً! إنها كارثة».

رمى الأوراق على المكتب ونهض ليذرع الغرفة ذهاباً وإياباً.

- كان بإمكانهم أن يتصلوا! هل اعتقدوا أنني بدلت رأيي؟ .
- اتصلت بالمحكمة لأتأكد من الأمر، فقالوا إن ليس هناك أي طلاق مسجل. لكن في ذلك الوقت، لم يكن هناك مجال للاتصال بشركة المحاماة في تلك الساعة المتأخرة. وهكذا اتصلت هذا الصباح أثناء توقفي في الرحلة.

www.elromancia.com

تعرضت الطائرة لمشكلة ميكانيكية أجبرتها على الهبوط في ديترويت لإصلاح العطل الطارىء.

– تأكدوا من سجلاتهم، ولم يكن لديهم إلاّ ملاحظة بورود اتصال هاتفي منك. قالوا إن الأمور تحدث أكثر بكثير مما يمكن أن يعتقد المرء: «فالناس يبدلون آرائهم بسرعة».

رفعت سادي كتفيها وأكملت: «وهكذا، يبدو أننا ما زلنا متزوجين».

تلك المعلومة بقيت ترن في رأسها طوال الليل. متزوجة؟ هي ما زالت متزوجة؟ وزوجها سبنسر؟

تذمر سبنسر: «تباً! بحق الجحيم».

حسناً فعلت إذ لم تتوقع أن تراه سعيداً بذلك الخبر. قالت بانزعاج: «آسفة، أدرك أن ما حدث أفسد خطتك».

ضغط على أسنانه بشده، ثم تنهد وتمتم بعصبية: «تلك ليست غلطتك».

نظر إليها وتابع: «لو كنت مكاني لتأكدتِ من أن الطلاق قد تم».

وافقته سادي: «بالطبع!».

حدّقا ببعضهما. تمتم: «لكنني لم أشأ أن أضعك في ذلك المأزق. فكل ما حدث هو بسببي. إنه خطأي وحدي».

أجابت سادي: «يمكنني القول إن كلينا ارتكبنا تلك الغلطة». فهي في النهاية كانت حمقاء بما فيه الكفاية لتوافق.

سمع طرق خفيف على الباب. وقبل أن يتمكن أي منهما من قول كلمة أدخل، فتح الباب وأطل طوم برأسه. سأل سبنسر: «هل انتهيت؟».

هزّ سبنسر رأسه، وقال: «لدينا مشكلة صغيرة عالقة!».

اتسعت عينا طوم، ونظر إلى سادي، ثم سأله: «هل ما زلت متزوجاً بها؟».

بدت تعابير الدهشة والانزعاج وعدم الرضى واضحة جداً على وجهه.

– يبدو ذلك. اذهب إلى موعدك طوم. سأتحدث إلى دينا، وسنتمكن من حل هذا الإشكال.

– لكن... الزفاف...

– علينا الغاؤه في الوقت الحالي.

سأل طوم: «لكن ماذا عن مشروع المنتجع في الجزيرة؟ وماذا بشأن كارستيرز؟ وليوني؟ ما الذي سيقوله إيزوغاوا؟».

تجهم وجه سادي لسماعها تلك الأسئلة. تساءلت ما علاقتهم جميعاً بزواجه؟ سألت: «ماذا بشأن المشروع في المنتجع؟ وما شأن السيد إيزوغاوا وريتشارد وليوني كارستيرز؟»

– ماذا؟ ما الذي تعرفينه عن ليوني؟

سألها سبنسر وهو يحدق بها بعينين قاسيتين، كأنه اعتقد أنها كانت تتجسس عليه.

قالت: «لا شيء. حسناً! اتصلت بي مراراً، وبدت قلقة من أن يذهب ريتشارد إلى الاجتماع بدونها. أكدت لها أنه لن يفعل، فالسيد إيزوغاوا يريد شركاءه مع زوجاتهم، وأنه مرحب بحضورها مثل زوجها تماماً».

ضغط سبنسر على فكيه. ورفع طوم حاجبيه وهو يهزّ رأسه، فلم تفهم سادي شيئاً.

تابعت: «لا بد أنها ستكون هناك، قال السيد إيزوغاوا إن الزوجات مرحب بهنّ».

ألهذا السبب أراد سبنسر إحضار دينا؟ لا تستطيع أن تسأل أمام والد دينا. مع أن طوم ولسن عملي جداً مثل سبنسر، لكن بدا لها أنه من غير المناسب التلفظ بهذا الكلام. استدار سبنسر محدثاً طوم: «فقط، اذهب الآن، طوم. سأتصل بك لاحقاً».

- وماذا عن دينا؟ ما الذي ستقوله لابنتي؟

أدار طوم رأسه مفكراً. ثم هزّ رأسه موافقاً، ثم قال: «حسناً! تولّ الأمر بنفسك إذاً».

ورحل، ليسود الصمت بعد ذلك. شعرت سادي أنها مجبرة على القول: «يمكننا أن نحصل على الطلاق».

- ليس خلال النصف الساعة القادمة.

- حسناً! لا. لكن. . .

- انسي الأمر، أما الآن فأنا بحاجة إلى التحدث مع دينا.

- سأذهب معك.

- لا، لن تفعلي. الأمر يتعلق بي وبدينا. قد يكون زفافنا مجرد عمل فقط، لكنها صديقتي. وأنا أدين لها بإخبارها باحترام عما حدث، بشكل خصوصي.

- فكرت فقط أنني قد أساعدك إذا. . .

قاطعها بخشونة: «لا. لن تفعلي. وأعتقد أنك ساعدتني بما فيه الكفاية لهذا اليوم. فقط انتظريني هنا، سادي. سأعود».

وسار نحو الباب، ففتحه وخرج، ثم أغلقه وراءه.

ماذا يعني بقوله ساعدته؟ أيعني أنها المسؤولة عما حدث؟

حسناً! هذا غير صحيح! آه، إنها بحاجة إلى إجازة. ستتأكد من حدوث الطلاق هذه المرة، وتتأكد من إنهائه بشكل كامل. بعدئذ ستقدم استقالتها، وستجد عملاً جديداً. ستبيع سبنسر حصتها في الشركة، وهذا الأمر سيجعل من فراقهما مؤبداً. إنها بحاجة إلى الابتعاد وعدم رؤيته من جديد، عليها أن تجد حياة لنفسها.

كما قال داني، حان الوقت كي تتعقل أخيراً.

قالت لنفسها بحزم: «وهذا هو الوقت المناسب».

لم ترفع دينا نظرها حتى عندما دخل سبنسر إلى غرفة القاضي. كانت تقرأ بعض التقارير القانونية، وهي منغمسة في قراءتها كلياً. لا أحد ينظر

إليها ويستطيع أن يتخيل أنها توقفت عن إتمام مراسم زفافها منذ لحظات.

كالعادة، بدت دينا متماسكة وعملية. ولم تكن هناك شعرة واحدة من شعرها الأشقر بعيدة عن مكانها.

على العكس من ذلك، شعر سبنسر كأنه سحب عبر ضواحي نيويورك، وتم رميه أرضاً بإطلاق رصاصة عليه. إنه متزوج! متزوج من سادي! ما زال متزوجاً بها منذ أربع سنوات.

أنهت دينا قراءة الورقة التي كانت تمسك بها قبل أن ترفع نظرها إليه، ثم ابتسمت له تلك الابتسامة الباردة التي تدل على ثقتها بنفسها، وقالت: «حسناً! بدا الأمر مثيراً للاهتمام».

تصلب فكه وشعر أنه بحاجة إلى بذل مجهود كبير كي يبدو هادئاً. قال: «نعم».

لكنه لم يستطع أن يتفوه بأية كلمة أخرى.

- إذاً، هل ما قالته صحيح؟

- نعم.

راح بسرعة يشرح لها ما حدث. لم يذكر إميلي، فقط قال إنه كان وسادي في فيغاس حين تزوجا، وعند الصباح أدرك أن زواجه كان مجرد خطأ منه. بدا من الصعب عليه أن يبدو أحمق في عينيها. حاول ألا يدخل في التفاصيل الدقيقة، وتمنى فقط أن يتفوه بكلمات تظهر الحقيقة، حتى اكتشف أخيراً أن ليس هناك ما يضيفه.

- من الواضح أنه كان عليّ أن أقرأ تلك الرسالة اللعينة. افترضت أنها أوراق الطلاق.

بقيت دينا صامتة لفترة قبل أن تقول بهدوء، وكأن ما قام به مجرد حماقة بسيطة وليس مصيبة كبرى: «هذا سيعلمك في المستقبل كيف ستتصرف».

قال سبنسر وهو يشعر بدوي في رأسه: «صحيح».

- إذاً ما زالت الأمور تسير على ما يرام، على ما أعتقد، فأنا لا أريدك أن تخسر ذلك المشروع.

حدّق بها متفاجئاً لأنها تقبلت الأمر بمثل هذا الهدوء، لكن ذكر نفسه أن زواجهما هو مجرد اتفاق عملي في نظرها.

قالت: «ستسير الأمور على ما يرام. عليك أن تأخذ سادي بدلاً مني».

حدّق سبنسر بها قائلاً: «ماذا؟».

نظرت دينا إليه ببراءة وقلت: «حسناً! إنها زوجتك».

- أجل، لكن. . .

لم يستطع أن ينهي كلامه. لن يكون الأمر مطلقاً «مجرد عمل» مع سادي. لا يمكن أن يكون كذلك.

سادي عملية جداً، لكنها لا ترى العالم من المنظار الذي يراه هو منه. قالت دينا بهدوء: «حسناً! ماذا يمكنك أن تفعل غير ذلك؟ لن يبدو الأمر مقبولاً لدى السيد إيزوغاوا. إذا ظهرت في جزيرته وأنت تعمل على الطلاق».

- لا!

كان يحاول أن يفكر. إنه عادة ماهر جداً في التفكير، ومعظم الحلول تأتي نتيجة أفكاره، أما الآن. . .

ذكرته دينا: «لقد عملت كثيراً، وبذلت الكثير من المجهود من أجل ذلك المنتجع. إنه فرصة تأتي مرة واحدة في العمر كله، لهذا عليك أن تنجز العمل وتنجح، وإن حدث ولم تستطع مقاومة سادي فليكن. . . على الأقل أنت متزوج، وهذا هو المهم».

بالكاد سمع سبنسر الكلمات الأخيرة. فقد انشغلت أفكاره بكلماتها التي تتحدث عن مقاومته لسادي. كل الذكريات التي يحملها لسادي موريسي في ليلة زفافهما عادت إليه فجأة، وتجسدت في مخيلته.

ضغط براحتي يديه على جانبي رأسه، وشعر كأن رأسه سينفجر. سألته دينا: «ما الأمر؟ هل تشعر بالصداع؟ لا أعتقد أن ذلك يفاجئني».

- أحتاج إلى التفكير بالأمر.

- بالطبع، اشكر حظك السعيد لأن سادي وصلت في الوقت المناسب.

نظر إليها غير مصدق وهو يقول: «حظي السعيد.»

ابتسمت دينا وعلّقت: «ستكون بخير. أنت بحاجة إلى زوجة، أليس كذلك؟».

- نعم، لكن. . .

- لديك زوجة، وهي تعرف كل شيء عن عملك. ستكون بخير. فقط قم بما هو أفضل لك.

نظر إليها مشدوهاً وقد ظهر الشحوب على وجهه. بعدئذٍ وقفت دينا ثم وضعت أوراقها جانباً، وأغلقت حقيبة العمل. ربتت بيدها على خده، واستدارت نحو الباب، وهي تقول: «ارتجل حلاً».

* * *

سمعت سادي اسمها يتردد في أرجاء المدخل الكبير. شعرت بالرغبة في البقاء في غرفة السيدات، لكنها أدركت أن هذا التصرف ينم عن الجبن. لقد واجهت الأسوأ قبل قليل. الآن كل ما عليهما القيام به هو الجلوس والعمل على الحصول على الطلاق فعلاً. بإمكانها أن تفعل ذلك، كما أن سبنسر يريد القيام بذلك أيضاً. من المحتمل أن يكون قد ملأ الأوراق الآن. أغمضت عينيها وصلّت لتمنحها السماء القوة لمواجهة الأمر، فلا تتصرف بتهور الآن.

دفعت الباب بقوة، ثم خرجت. رأت سبنسر يقف مديراً ظهره لها، وهو يضغط على هاتفه النقّال بغضب. رفع الهاتف إلى أذنه وانتظر وهو يحرك قدمه بعصبية، ويمرر أصابعه بشعره.

اقتربت سادي منه بهدوء، فهي تعلم أن ليس عليها أن تقاطعه أثناء إجراء الاتصال. حدّق بغضب بالهاتف، وضغط على زر آخر بغضب، ثم زأر قائلاً: «تباً، سادي! أين أنت بحق الجحيم؟».

- وراءك تماماً.

www.elromancia.com

استدار على الفور، وحدّق بها ثم بالهاتف. أقفل هاتفه ووضعه في جيبه، وقال: «أين كنت؟».

– ذهبتُ إلى غرفة السيدات بينما كنت تتحدث مع دينا. هل هي بخير؟

– من؟ دينا؟

– بالطبع. هل شعرت بالغضب والانزعاج؟

– لا، على الإطلاق!

رفع كتفيه كأن الأمر لا يهم مطلقاً، لكن بدا الانزعاج في صوته واضحاً. أمن المحتمل أن زواجهما لم يكن زواج عمل بالمطلق، في النهاية؟

لم ترغب سادي بالتفكير بالأمر. لطالما أحبت دينا، ومن بين الأسباب التي أزعجتها اليوم، أن تشعر دينا بألم حقيقي على رغم تأكيدات سبنسر على عكس ذلك. قالت: «يسعدني ذلك. فأنا لا أرغب بأن أسبب لها الأذى».

قال سبنسر بسخط: «تسببين الأذى لها؟ وماذا عني؟».

– إنه مجرد زواج عمل بالنسبة لك!

– قد يصاب عملي بالأذى.

مالت سادي برأسها وقالت: «كيف؟ هل كنت تنتظر جزيرة في الكاريبي من الأب كهدية للزفاف؟».

– لا! بالطبع لم أكن أنتظر شيئاً.

غضبه ونقمته أصبحا حقيقيين الآن، وشعرت سادي بالانزعاج لأنها تفوهت بتلك الملاحظة.

طوال حياته لم يحصل سبنسر طياك على أي شيء بطريقة سهلة. لطالما عمل بجهد للحصول على كل ما يملكه، وتلك كانت مسألة مبادىء وأخلاق تميزه. قالت سادي بصدق: «آسفة. أنا متأكدة من أن الأمر صعب. حتى لو كان الاتفاق زواجاً عملياً، فلا بد أنك منزعج.

سنحصل على الطلاق في أسرع وقت ممكن وعندئذ يمكنك الزواج بدينا».

قال لها بصراحة: «لا، لا أستطيع القيام بذلك».

– ولم لا؟

– لأن عليَّ أن أطلقك أولاً. والسيد إيزوغاوا لن يعجبه ذلك. إنه شخص تقليدي يؤمن باستقرار الحياة الزوجية وقداستها.

– حسناً! إن كنت لا تريد أن نعمل على الطلاق الآن، لن نفعل. بإمكاننا الانتظار حتى تعود. وحتى يتم العقد، لا داعي لأن يعرف إيزوغاوا بالأمر. دعه يستمر في التفكير بأنك أعزب.

– لا أستطيع.

– آه! حباً بالله! توقف عن التحدث بالألغاز! لِمَ لا تستطيع؟

تجهم وجه سادي، وشعرت بالحيرة من شدة عناده، تابعت: «لقد تحدثت معه. صحيح أنه يؤمن بالزواج والعائلة، لكن لا أظنه يعتقد أن على الناس جميعاً أن يعيشوا أزواجاً».

لكن سبنسر هزّ رأسه وقال: «لا. اسمعي، أنا...».

بدا كأنه سيشرح لها كل ما يتعلق بمسألة المنتجع، لكنه نظر حوله إلى الناس الذين يتجولون في الممر ذهاباً وإياباً، والبعض منهم يرمقونهما بنظرات فضولية. وبدلاً من المتابعة أمسك بذراعها، وقال: «لا أريد أن أتحدث بالأمر هنا. لنستقل سيارة أجرة».

– سيارة أجرة؟ وإلى أين سنذهب؟

– إلى منزلي.

قال ذلك ودفعها برفق نحو المصعد.

منزله؟ تعلم سادي بالطبع أن لديه منزلاً في الضاحية الغربية. ففي السنتين الماضيتين أمضى سبنسر الكثير من الوقت في نيويورك وهو يملك شقة صغيرة هنا وأخرى في جزر الكاريبي، وأخرى في اليونان وكذلك إسبانيا. رأت سادي صوراً لتلك الشقق كلها، لكنها لم تدخل أياً منها.

www.elromancia.com

في الواقع، تستطيع أن تعد على أصابع اليد الواحدة المناسبات التي زارت فيها منزل سبنسر في بوت. وعلى الرغم من أنها نشأت وكبرت وهو يدخل إلى منزلها ويخرج منه برفقة داني، فالعكس لم يكن صحيحاً أبداً.

عندما كانا طفلين، لم تكن الحياة في منزل سبنسر مع أمه القاسية ووالده المستهتر سهلة على الإطلاق. وهي تعلم أنه لم يرغب بأن يشاهد أحد مدى معاناته.

لكن حتى الآن، وبعد أن أصبح سيد قدره وعمله، ويعيش في واحد من القصور القديمة بعد أن أعاد ترميمه بنفسه في كوبركنغ في أعالي بوت، أبقى سبنسر منزله بعيداً عما تبقى من حياته. قالت متفاجئة وصوتها يتردد كالصدى: «أتريد أن تأخذني إلى منزلك؟».

أجاب بخشونة: «وإلى أي مكان آخر تريدين الذهاب إليه، طالما أنت زوجتي؟».

بإمكانه أن يزمجر وهو يلفظ كلمة «زوجتي» قدر ما يشاء، لكن ليس من السهل أبداً أن يفكر بحقيقة الأمر. ففي الواقع، هذا الأمر شبه مستحيل. جلس سبنسر في المقعد الخلفي في سيارة الأجرة التي أقلتهما إلى شقته في الضاحية الغربية، وأخذ ينظر إلى سادي من زاوية عينه.

سادي لا تولي عادة أي انتباه إلى المكان الذي يتواجدان فيه، بل تُبقي نظراتها مركزة عليه، تقدم له الأوراق، وتشير إلى النقاط الهامة، وتتحدث بسرعة ميل في الدقيقة. أما الآن فهي لا تقول أي شيء.

ما الذي تراها تفكر به؟ عادة لا يجد سبنسر أي مشكلة في تصور ذلك. بل إنها تقول له ما يجول في خاطرها من دون أن يسألها. فهما يتحدثان، يتناقشان، يختلفان، يتشاركان الأفكار ثم يوضحان الأمور. أما الآن فهي هادئة وصامتة كالحجر. تمنى لو أنه يستطيع أن يرى ما في داخل رأسها. لكن، بعد التفكير بالأمر فكر أن من الأفضل له أنه لا يستطيع.

كل ما يحدث الآن هو بسبب غلطته. إنه يتقبل الأمر، فهو ليس من

النوع الذي يتهرب من مسؤولياته. كان عليه التأكد من أن زواجهما قد انتهى. كان عليه مواجهة تصرفه الطائش وحماقته المؤقتة والتأكد من أن مفاعيل العقد قد أبطلت، وهذه غلطته من جديد.

عليه أن يعمل على تصحيح الأمور بطريقة مناسبة ونهائية وبدون أي تردد. وهذا ما سيفعله. لكن أولاً عليه التعامل مع مشكلة المتنجع. عمل هو وسادي بجهد لفترة طويلة، ومن المخاطرة الآن أن يجعلا الاتفاق يفلت من بين أيديهما. هو لا يدري بالتحديد كيف سيتمكن من تولي الأمر.

اقتراح دينا بأن يأخذ سادي معه أمر مستحيل بالطبع، فهي لن توافق أبداً، وهو يتفهم ذلك. لكنه لا يستطيع التفكير بأي خيار آخر.

ستجد سادي الحل. إنه متأكد من ذلك. وهذا ما يجعله يشعر بالسعادة خلال عملها معه. فهما يتصارعان مع المشاكل. هو يقدم الاقتراحات وهي تناقضه. غالباً ما يكون هو على حق، أو قريباً من الصواب. لكنها أحياناً تقدم له أفكاراً أفضل.

تمنى سبنسر أن تكون لديها فكرة أفضل اليوم أيضاً. بدأ يقول شيئاً ما، لكنه عاد وأغلق فمه. لا يريد أن يبدأ بالجدال وهما في سيارة الأجرة. عليه أن ينتظر. سيأخذها إلى منزله وسيبلغها بما سيفعلانه.

هناك ستتمكن من مجادلته، كما يمكنها تقديم أي حل آخر. أجل، ابتسم للفكرة، وهذه أول ابتسامة له منذ أن رمت سادي قنبلتها منذ ساعة مضت.

٣ - زوجة في الصندوق

ستأتين معي إلى نانومي بصفتك زوجتي نهار الجمعة.

حدّقت سادي به مذهولة.

أضاف سبنسر بإصرار وهو يتجول في الغرفة: «لمَ لا؟».

بدت الغرفة صغيرة، وليست متميزة بطراز معيّن. تابع يقول: «نحن متزوجان، وأنت قلتِ ذلك».

- نعم. قلت ذلك، لكن...

نظرت إليه عن كثب. هل يقترح..؟ بالطبع هو لا يعني..؟

راح قلبها يقفز في صدرها. هل يرغب سبنسر في الاستمرار بالزواج، وهو يراها امرأة في النهاية؟

توقف مباشرة أمامها، وقال: «في السراء والضراء، سادي. أنت زوجتي، وإيزوغاوا متعلق جداً بفكرة العائلات. هو يريد استضافة الشركاء مع زوجاتهم، وهذا وضع مثالي بالنسبة إليه. أليس كذلك؟».

ابتسم لها وهو يقف بقامته الطويلة بالقرب منها، يتحداها أن تعارضه أو تجادله.

فجأة أدركت سادي أن لا علاقة مطلقاً لفكرة البقاء متزوجاً بها. إنه يريدها أن تجادله.

هذا هو سبنسر عندما يسيطر عليه مزاج التحدي والمواجهة. إنه يبحث عن شجار، وعمن يتصدى له. هذه هي طريقة عمله. يرتفع مستوى حدسه أثناء الشجار، فيبدأ بطرح الأفكار بشكل مطرد. هذه هي طريقته. عندما يبدأ بمناقشة أي اتفاق، يطرح احتمالاً، ثم يستعمل ذلك

الحدس الذي لم تستطع مرة أن تجاريه، ويبدأ بالتحليل بسرعة قصوى، مفكراً بخياراته، ومستبعداً كل ما هو غريب وشاذ، ثم يرميها بفكرة رائعة وجديدة. تماماً كما يفعل الآن.

جرت العادة أيضاً أن تتمسك سادي بتلك الفرصة، فهي تحب النقاش مع سبنسر. فهذا الأمر يثيرها ويبهجها، ويجعلها تشعر أنها جزء حيوي وهام في اتخاذه للقرار، لأن سبنسر يستمع حقاً لما تقوله. فإذا وجد ما تقوله مقنعاً، لا يتردد في تبديل رأيه والقبول برأيها.

ابتسمت له وقالت: «حسناً!».

بدا الصمت المفاجىء في الغرفة ثقيلاً جداً. حدّق سبنسر بها، وقد اتسعت عيناه.

- حسناً؟! ماذا تقصدين بقولك، حسناً؟

- أقصد أنني موافقة.

عقد حاجبيه الأسودين، وعبس بغضب وهو يحف مؤخرة عنقه، ثم قال بصوت آمر: «لم أكن أسألك، كنت أخبرك بما سيحدث».

- أجل، وأنا أوافقك الرأي.

- هل تفعلين؟ أقصد... بالطبع توافقينني الرأي.

وتابع بتبجح: «فهذا هو الرأي المنطقي حقاً».

فكرت سادي، الأمر المنطقي هو أن تستدير وتهرب لتنجو بروحها. فهي غير معتادة على سبنسر وهو ينظر إليها على هذا النحو، فيما هذا اللمعان ينبعث من عينيه. لكنها تنازلت، وأصبحت أكثر رقة وهدوءاً.

قالت بحزم: «أجل، أعتقد ذلك».

- لماذا؟

هزّت رأسها. بالطبع هي لن تخبره بما تفكر به، وهو أنها حتى الآن ليست متأكدة من الأسباب التي دعتها للموافقة.

- إنها مجرد رحلة عمل.

رمش بعينيه، ثم هزّ رأسه وقال: «أجل».

- إذاً، لا مشكلة.

شيء ما في أعماق دماغها سخر من سذاجتها، فتجاهلته وتابعت: «سأذهب إلى فيجي معك. وبعد ذلك، سأستقيل. سأعود إلى بوت، وستحصل على الطلاق. طلاق حقيقي هذه المرة مع كل الأوراق المطلوبة، وبكل التفاصيل الدقيقة، رسمياً وشرعياً، وعندها سأخرج من حياتك».

- لا تكوني سخيفة! أقصد. . . أجل من أجل الطلاق، وهذا أمر مؤكد. لكن ما من داعٍ لتخرجي نهائياً من حياتي.

- بلى، يجب أن أفعل ذلك.

يا إله السماوات! بالطبع هي بحاجة إلى ذلك. فهي وبدون أي شك لا تريد أن تمر بتلك التجربة من جديد؛ أن تحصل على طلاق جديد من سبنسر طيلة ثم تستمر في العمل مديرة لمكتبه. كانت حمقاء بما فيه الكفاية، وخدعت نفسها لفترة طويلة، لدرجة أنها نجحت بالبقاء، لكنها لم تتمكن مطلقاً من نسيانه. إن بقيت بقربه لن تفعل ذلك أبداً.

رفعت نظرها والتقت عيناها بعينيه، حدّقت به بثبات بقدر ما استطاعت. في الواقع، اضطرت إلى بذل مجهود كبير لتفعل، ثم قالت: «سأكون زوجتك لمدة أسبوع كامل، وبعد ذلك سأرحل».

ظهر الضيق على وجه سبنسر. حدّق بها لوقت طويل، ثم رفع كتفيه بعدم مبالاة وعلّق: «افعلي ما ترينه مناسباً».

فكرت سادي أن ذلك سيناسبها تماماً. ستذهب إلى نانومي معه كزوجة حقيقية له ولمدة أسبوع كامل. وستسمح لنفسها بأن تتصرف كزوجة، لتحظى بأسبوع حلمت به دوماً. بعد ذلك ستغادر.

لم يبدُ سبنسر مقتنعاً بشكل كامل بما قالته، لكنها لن تقف هنا لتجادله الآن.

قالت: «أشعر أنني بحاجة إلى الاستحمام. هل أستطيع أن أفعل؟».

- أجل. بالطبع. تباً!

مال برأسه نحو باب وراء المطبخ الصغير وتابع: «اذهبي، وافعلي ما تريدينه».

- شكراً.

رفعت كتفيها وهي تشعر بالسعادة لأن حقيبتها قربها، فهكذا ستتمكن من الحصول على ثياب نظيفة.

سحبت سروالاً من الكتان وقميصاً ذات ياقة عالية وثياباً داخلية نظيفة، وبذلت مجهوداً كبيراً لتسيطر على عاطفتها المتمردة. عندما تأكدت أنها في سيطرة كاملة وقفت لتواجهه.

كان يقف أمامها مباشرة، وهو يحدّق بها. قالت: «هل تسمح؟».

بدت عيناه مسمرتين على الثياب التي تحملها، ولم تعد متأكدة من أنه سمعها، فقالت: «سبنسر؟».

هزّ رأسه بسرعة: «لا. . . بالطبع، لا أمانع».

وكأنه أدرك فجأة لماذا لا تتحرك. فابتعد عن طريقها.

مرت أمامه وقالت: «شكراً لك. سأسرع قدر استطاعتي».

تمتم: «خذي قدر ما تشائين من الوقت. سأحضر بعض الطعام».

بقي سبنسر يحدق بها وهي تغلق الباب بوجهه. ذهب فكره مباشرة من النظر إلى تلك الثياب التي حملتها سادي إلى تصورها وهي ترتديها، فشعر بأنفاسه تضيق وكأنه بحاجة إلى مزيد من الهواء.

في وقت ما، أثناء بلوغ سادي سن المراهقة، بدأ سبنسر يلاحظ أن شقيقة داني الصغرى لم تعد تشبه العصا. ووجد نفسه أكثر من مرة مستلقياً في سريره يفكر بجسدها المتناسق وساقيها الطويلتين.

وفي إحدى الليالي علّق على تفتح أنوثتها أمام داني، وسرعان ما وجد نفسه مرمياً على الطاولة.

قال له داني محذراً، وهو يقف فوق رأسه، ويتنفس بصعوبة: «لا تفكر في الأمر! سادي هي من نوع الفتيات اللواتي يرغبن في الزواج وإنشاء عائلة. إنها فتاة جيدة وستبقى كذلك. لذا ابقِ عينيك ويديك بعيداً عنها.

إنها ليست للشبان أمثالك! هل فهمت ذلك؟».

فهم سبنسر ذلك جيداً.

حتى عندما كان يشعر بالشوق إليها وهو في أوائل العشرينيات من عمره، كان يفكر أن داني على حق. سادي فتاة رائعة، وعندما تصبح جاهزة للزواج فإنها تستحق رجلاً جيداً مثلها. إنها تستحق الأفضل.

أبقى سبنسر يديه بعيدتين عن سادي، لكنه ظل مدركاً أنها فاتنة. أما سادي نفسها فلم تعمل مرة على التباهي بما لديها من جمال ومفاتن. وعندما أصبحت في عمر المراهقات اللوتي يحاولن التأثير بأنوثتهن الخادعة على الشبان، لم تفعل سادي ذلك مطلقاً.

وفي الواقع، كبرت سادي لتصبح أكثر جمالاً وأكثر هدوءاً، لكن أقل اقتراباً منه. كان من السهل التحدث إليها وهي طفلة صغيرة تجري وراءه ووراء داني. لكن ما إن أصبحت في السادسة عشرة أو أكثر من عمرها حتى أصبحت بعيدة وحزينة.

سأله داني ذات مرة: «ما الذي فعلته لها؟».

بعد أن رأى داني بنفسه تباعدها، وقرر أن سبب ذلك أمر ما قام به سبنسر.

- لا شيء! لا شيء على الإطلاق!

كان مستعداً للموت ليبرهن ذلك لداني. لكن نفيه بدا كافياً كما يبدو.

قال له داني حينها: «أردت التأكد من أنك لم تفعل شيئاً».

أجابه سبنسر: «يمكنك الاعتماد على ذلك».

تصور أنها لم تعد معجبة به. لطالما كانت تحب التواجد قربه وهي طفلة، لكن كامرأة شابة، يبدو بوضوح أنها تراه كما هو بالتمام، وأنها قررت أنه لا يستحق الاهتمام.

فكر سبنسر حينها: من الأفضل أن تكون الأمور بينهما كذلك، من الأفضل ألا يفكر بسادي مطلقاً بعد الآن.

بعد ظهر أحد أيام الشتاء، كان سبنسر في مطبخ عائلة موريسي يتحدث مع داني، ويكاد يمزق شعره بسبب الفوضى التي تسيطر على مكتبه وعلى كافة أوراقه، دخلت سادي إلى المطبخ، وأصغت إلى ما يقوله لدقيقة، ثم قالت: «هذا أمر بسيط وسخيف. نظم ملفاً خاصاً لكل أمر».

- لو أنني أستطيع أن أتصور نظاماً معيناً لفعلت ذلك.

قالت سادي بفرح، وكأنها تحمل أجوبة عن كل المسائل الغامضة في العالم: «أنا أستطيع وضع نظام لحل تلك الفوضى».

علق سبنسر بغضب: «أشك بذلك».

ردت سادي: «سأبرهن لك أنني أستطيع القيام بالأمر».

وفي اليوم التالي ظهرت أمام شاحنته، قائلة: «إذاً، قل لي أين تعمل؟».

أشار برأسه نحو مؤخرة الشاحنة التي يعيش فيها، قائلاً: «هنا».

رمشت بعينيها، ثم حدقت به قبل أن ترفع كتفيها قائلة: «حسناً! دعني أرى».

- أنت لا تريدين العبث. أليس كذلك؟

قالت سادي تتحداه: «أتخشى أن أكون قادرة على القيام بما لم تستطع أنت القيام به؟».

عند ذلك لم يكن أمامه إلا أن يدعها تصعد إلى الشاحنة، فتح لها باب الحجرة الصغيرة لترى كوماً من الأوراق والملاحظات وبعض الخطط والأفكار والوثائق القانونية، وكلها مرمية حول كيس للنوم وفراش ينام عليه. ابتسم لها سبنسر بخجل، وقال: «أما زلت تظنين أنك تستطيعين تنظيم ملفات لهذه الأوراق؟».

- ابتعد عن طريقي!

دفعته سادي جانباً وسارت أمامه، وجعله ذلك يبتلع غصة بصعوبة وهو يرى كيف تميل بجسمها الرشيق لتختفي في مؤخرة الشاحنة. بعدئذٍ استدارت، ونظرت إليه قائلة: «هل ستساعدني؟».

قال بصدق: «لو كنت أستطيع المساعدة لفعلت ذلك بنفسي».

هزّت رأسها وقالت: «إذاً، ارحل من هنا».

وهذا ما فعله. ذهب إلى الخارج ليركض، مصمماً على أن يرهق نفسه، ليتمكن من التخلص من كل الأفكار التي تتعلّق بجمال سادي ورشاقة جسمها.

عندما عاد مرهقاً ذلك المساء، شعر أنه أكثر سيطرة على عواطفه. لكن لم يبدُ له أن سادي تمكنت من السيطرة على تلك الفوضى في مؤخرة شاحنته، إذ ما زالت الأكوام كما كانت قبل أن يغادر، ومع أن شكلها قد اختلف، لكن الفوضى لم تختفِ.

شعر بالارتياح لفشلها. بما أنه كان ذاهباً إلى لوس أنجلس لحضور حلقة دراسية في الأعمال، قال لها: «محاولة جيدة، لكن أرأيت؟ الأمر ليس سهلاً كما تظنين. انسي الأمر!».

لكن سادي لم تفعل. هزّت رأسها ومدت يدها وهي تقول: «لم أنتهِ بعد. أعطني مفتاح شاحنتك».

بعد أسبوع، لم يجد سبنسر أثراً لتلك الفوضى. وجد مؤخرة شاحنته خالية إلا من المنصة، الفراش، وكيس النوم مع أربع صناديق لحفظ الملفات. شعر بلحظة من الرعب.

- أين. . .؟

أشارت سادي نحو الصناديق، وقالت: «هناك. كل شيء مرتب وفي مكانه الخاص».

وتابعت باقتناع: «يمكنني أن أعرض عليك كيف يعمل».

قرر سبنسر أنه لا يريد أن يعلم كيف يعمل هذا النظام. يريد فقط أن تتأكد سادي من نجاح نظامها، وهكذا طلب منها العمل لديه منذ تلك اللحظة.

كموظفة لديه، لم تعد سادي هادئة وبعيدة. كانت سادي تأتي كل يوم بعد انتهاء دوام المدرسة إلى شاحنته، تراجع معه الأوراق وتنظمها في

ملفات، وتتجادل معه بشأنها. وعلى الرغم من أنها كانت في السادسة عشرة من عمرها، إلا أن أفكارها بدت واضحة ومميزة. راحت تطرح عليه أسئلة حول أعماله لم يفكر بها مطلقاً. لم يلزمه وقت طويل ليدرك أنها ليست فقط عبقرية في التنظيم، بل تملك أيضاً حدساً قوياً للأعمال، حدساً يوازي حدسه، ما جعله يشعر بالسعادة لأنها تعمل لديه.

إنها فاتنة، ومن الممتع التواجد معها، كما أنها تقدم مساعدة لا متناهية لعمله.

أدرك سبنسر منذ ذلك الوقت أنه يسهل عليه التعامل مع المسألة الثانية وهي مسألة العمل، أما المسألة الأولى فهي مشكلة حقيقية. أو. . ربما كانت كذلك لو لم يتعلم، منذ زمن بعيد، كيف يقسم حياته إلى أقسام وأجزاء.

تعلم هذه الطريقة من خلال تعامله مع والديه. وكما ابتكر في ذهنه صندوقاً للعائلة، وضع فيه والديه ليبقي غضبهما ومرارتهما وفشلهما في الحياة بعيدة عن حياته، وليتمكن من الاستمرار، هكذا فعل بالنسبة إلى سادي.

ابتكر صندوقاً في ذهنه اسماه «صندوق الموظفين» وضع سادي في داخله. ومنذ ذلك الوقت، وفي كل مرة يجد نفسه يفكر بها ولو بشكل ضئيل جداً، كان يقفل غطاء ذلك الصندوق ليمنع نفسه من التفكير بسادي موريسي.

حتى جاءت تلك الليلة، عندما تخلت عنه إميلي، ونُزع الغطاء عن الصندوق. في تلك اللحظة التي عانى فيها سبنسر من الضعف والخيبة، كانت سادي بقربه، وغمرته باللطف والدفء والاهتمام والمساندة والحب. . .

إنها كلمة أو حالة لا يعرف سبنسر سوى القليل عنها، فاستسلم لتلك الحالة. كان بحاجة إلى دفئها واهتمامها وحبها في تلك الليلة. . . بحاجة إلى سادي. ولم يكن قادراً على مقاومة تلك الحاجة.

وهكذا، سألها إن كانت تقبل الزواج به، سألها؟ يمكن القول إنه أجبرها؟ فهذه الكلمة هي الأقرب إلى الحقيقة. قاوم سبنسر الاغواء لسنوات. قاوم شوقه إليها وقاوم جاذبيتها، حتى تلك الليلة، حين استسلم لشغفه بها فتزوج بها. تزوج بتلك العذراء الفاتنة التي شغلت تفكيره لأعوام، وأمضى أروع ليلة في حياته. في ذلك الوقت شعر بالصدمة والسعادة معاً. وبالطبع، طالعه عند الصباح جمال وجهها النائم، فعلم أن ما قام به كان عملاً خاطئاً.

عندئذٍ قام بما اعتقد أنه العمل الصائب فطلقها، أو هذا ما ظن أنه فعله. لكن حتى عمله ذاك، كما يبدو، قام به بشكل خاطىء. الشيء الوحيد الذي قام به بطريقة صحيحة هو أنه أعاد سادي وذكرياته الحميمة معها إلى ذلك الصندوق وأقفله بإحكام. وفي السنوات الأربع الأخيرة لم يسمح لنفسه ولو مرة واحدة أن يفكر ملياً بعينيها الخضراوين الواسعتين أو بشرتها الناعمة ذات النمش الذهبي أو بقوامها الرشيق الأهيف. قاوم كل الأفكار التي راودته عن تلك الليلة التي أقام فيها علاقة حميمة مع سادي موريسي.

المشكلة هي أنه الآن، وبعد أن علم أنه ما زال متزوجاً بها، ويحق له بالتالي التمتع بحقوقه الزوجية، لن يستطيع إبعاد صورتها من ذهنه، وإبعاد أفكاره عن غرفة الحمام حيث تخلع سادي ثيابها لتستحم.

تمتم بغضب محدثاً نفسه: «أمسك زمام نفسك، إنها سادي، حباً بالله؟ ما بيننا ليس سوى علاقة عمل».

إلا أن فكره وجسده أصرا على تذكيره أن سادي ليست فقط المرأة التي تعمل معه، بل هي أيضاً زوجته. حسناً لأسبوع واحد! يمكنه أن يبتكر صندوقاً آخر، يضعها فيه ثم يقفله بإحكام لمدة أسبوع.

توسل إليه جسده ألا يفعل . . .

- تباً!

سار نحو باب غرفة الحمام وطرق عليه: «سادي».

خرجت سادي من غرفة الحمام، نظيفة ومرتدية ثياباً أنيقة. شعرت أنها في حال أفضل، إلا أنها أكثر قلقاً في الوقت نفسه. حاولت بقوة أن تستجمع قوتها، محاولة إقناع نفسها أنها تستطيع القيام بذلك من دون أن تجعل من نفسها حمقاء.

وجدت سبنسر يعمل في المطبخ، وفي تلك اللحظات كان يضع الأغراض على الطاولة. قال: «أحضرت البورميه».

لم ينظر نحوها، وإنما انشغل بوضع الأوعية البيضاء اللون التي تنتشر منها رائحة طعام حار جعل لعاب سادي يسيل، ثم استدار ليحضر أطباقاً من الخزانة. لاحظت أنه يتحرك بمهارة وبسرعته المعهودة.

ابتسمت سادي وقالت بتردد: «رائحة الطعام شهية!».

وضع سبنسر آنية المائدة الفضية، ثم أخذ عودين لتناول الطعام من كيس خاص، ووضعهما على الطاولة أيضاً. أخيراً: «أترغبين ببعض العصير؟».

- لا، شكراً. لا بأس بالماء.

أشار سبنسر برأسه نحو الكرسي الأقرب إليها وقال: «اجلسي، وابدأي بتناول الطعام».

فتح وعاءً مليئاً بالأرز، قدمه لها وهو يتابع: «آكل في هذا المكان كلما أتيت إلى نيويورك. هناك لحم مدخن ودجاج مع الكاري وشيء ما مع اللحم لا أتذكر اسمه مطلقاً، كذلك سلطة القريدس مع بعض أنواع الفطائر المقلية. لا يمكنك الحصول على هذا النوع من الطعام في بوث».

سكبت سادي القليل من كل شيء في صحنها، ثم أخذت عودين بدورها. تنفست بعمق، وهي تشعر أن الأمور بينهما تقريباً . . . عادية. تماماً مثل وجبات الطعام التي كانا يتناولانها هي وسبنسر أثناء العمل. لكن تلك الوجبات كانت مصحوبة بكميات من الأوراق والعقود، وخطط العمل، ويرافقها حديث لا ينقطع. أما في هذه الوجبة، فلا أوراق ولا عقود ولا خطط. و . . . لا كلام أيضاً. ما يجمعهما الآن هو

مشكلة كبيرة بحجم الغرفة. والمشكلة هي الزواج. . . زواجهما.

أرادت سادي أن تعرف ما الذي ستتوقعه منه، لكن سبنسر لم يقل أية كلمة. استمر في مضغ الطعام والتهامه طول الوقت. مرت الوجبة كلها في صمت حتى أصبحت الأوعية والأطباق فارغة ونظيفة. عندئذٍ، تمنت أن يقول شيئاً، لكنه قفز من مكانه وبدأ بتنظيف الطاولة.

وقفت سادي أيضاً ،وقالت: «دعني أساعدك».

- لا، لا بأس. سأفعل ذلك بنفسي. فالمطبخ صغير جداً.

ومن الواضح أنه لا يريدها داخل مطبخه.

أدار ظهره لها مرة ثانية، وقال وهو يغسل الأطباق في المغسلة: «أتريدين القهوة أم الشاي؟».

تساءلت منذ متى أصبح سبنسر أليفاً وطيباً على هذا النحو؟

- الشاي، من فضلك.

- حسناً! اذهبي واجلسي. سأعد الشاي وأحضره إلى هناك.

* * *

حسناً! هذا يكفي. إن كان لا يريد التكلم عن الأمر، هي ستفعل استدارت ونظرت إلى سبنسر وهو يسكب فنجانين من الشاي.

- قلت لي إن زواجك من دينا، إجراء عملي فقط. لكن كان بإمكانك الزواج من دينا في أي وقت تشاء، فلم قررت ذلك الآن؟ ما الذي تخشاه في نانومي كي تحتاج إلى زوجة معك هناك؟

- قلت السبب بنفسك. يريد إيزوغاوا أزواجاً.

- لكنه لا يتوقع منك أن تتزوج فقط من أجل إسعاده. لا بد أن هناك سبباً آخر فما هو؟

عبس سبنسر، وفكرت سادي أنه لن يجيبها. لكن أخيراً، وبعد لحظة بدت طويلة جداً، قال: «ليوني!».

لم تتمكن من استيعاب ما قاله: «زوجة ريتشارد؟ لا أفهم».

ازداد وجه سبنسر عبوساً، وبدا كأن موجة من اللون الأحمر زحفت

إلى وجهه. لكنه لم يتكلم وهو يحمل فنجان الشاي عبر الغرفة ويسلمها إياه.

أمسكت سادي بالفنجان. رشفت منه رشفة، ثم سألته: «هل تريد الزواج بسبب زوجة ريتشارد كارستيرز؟».

قال سبنسر بغضب: «آه، استعملي رأسك! لأنها لا تولي أية أهمية لكونها زوجة ريتشارد».

بدا كأنها تفكر ما يعني الكلام الذي تفوه به سبنسر.

- أنت تقصد. . .؟ لكنها بدت لطيفة جداً عبر الهاتف!

أطلق سبنسر زفرة تنم عن الضيق والانزعاج قبل أن يسألها: «كم مرة اتصلت بك، بحق السماء؟».

- ثلاث أو أربع مرات. بدت قلقة ومتوترة جداً، وكأنها ليست متأكدة أنه مرحب بها. .

تمتم سبنسر: «أجل، صحيح!».

ثم أرخى كتفيه، وكأن الهموم تثقل كاهله.

سألته سادي: «ماذا تعني بقولك هذا؟».

عادت بأفكارها إلى الأحاديث التي دارت بينها وبين ليوني كارستيرز. بدت المرأة متفائلة ومرحة بشكل مبالغ به قليلاً. قالت لها إن ريتشارد يعمل بصورة دائمة، وهي لا تدري ماذا عليها أن تفعل.

تابعت سادي: «بدت مهتمة جداً لتعرف إن كان زوجها سيحظى بوقت كاف لها».

قال سبنسر بنبرة مشككة: «زوجها؟».

- ومن إذاً؟

لم يجبها لكن اللون الأحمر القاني الذي بدا على وجهه أجاب عن سؤالها.

شهقت سادي وهي تنظر إليه: «أنت؟ أتعتقد أنها تسعى إليك؟».

لمعت عيناه بغضبٍ وقال بسرعة: «لا أعتقد ذلك!».

اتسعت عينا سادي وهي تفكر بما سمعته، وبما يعنيه كلامه. أخيراً سألته: «ما الذي يجري؟».

- ليوني كارستيرز هي امرأة مستهترة ويائسة! وهي مستعدة للتمسك بأي رجل أعزب.

- أهذا ما فعلته... معك؟

أجابها بصراحة: «أجل».

- لكنها متزوجة.

- كم أنت ساذجة!

شعرت سادي بالحرارة تجتاح خديها، وقالت: «آه! فهمت. لكن... ألا تعتقد أن الزواج من دينا من أجل أن توقفها عند حدودها هو أمر دراماتيكي؟ ألا يمكنك ببساطة أن تقول لا؟».

- لا! تباً. لا أستطيع!

وضع سبنسر كوبه بحدة على الطاولة، فانسكب الشاي في كل مكان. أضاف بضيق: «أمر مربك حقاً... لدي أعمال مشتركة مع ريتشارد منذ سنتين، كما وأنني أعرف زوجته الأولى».

- مارغريت. أجل، أتذكرها.

- كانا رائعين معاً. وبعد ذلك التقى ريتشارد بليوني منذ ثلاث سنوات.

هزّ سبنسر رأسه قبل أن يتابع: «إنها شابة وهو في الخمسين من عمره، تباً! إنها في مثل سن أولاده، لكنه لم يكن يفكر بمنطق. أرادها، وتزوج بها. والآن... الآن بات الوضع غاية في الفوضى».

أخذ سبنسر يتجول في الغرفة كالنمر الجريح، ثم ارتمى على أحدى المقاعد، ونظر إليها من تحت رموشه الكثيفة.

- والآن، بعد أن أصبحت زوجته، لم يعد يولي أي اهتمام لها. بصراحة، أعتقد أنها تخيفه، وهذا تماماً ما فعلته بي! إنها عابثة، وتغازل الجميع لتثير انتباهه، على ما أعتقد... أو على الأقل هذا ما كنت

أعتقده. أما الآن فأنا لا أعرف.. بعد رحلة برشلونة.

قطب جبينه وتوقف عن الكلام بشكل مفاجىء.

سألته بإصرار: «ماذا حصل في برشلونة؟».

تعرف سادي أن سبنسر ذهب إلى هناك الشهر الماضي في رحلة عمل. فهي من دبّرت ذلك اللقاء.

قال سبنسر موافقاً: «أجل، فقد أصرت على الحضور كما قال ريتشارد. لكنه لم يستطع أن يصطحبها إلى لقاءات العمل. وهكذا تركها في إحدى الليالي بمفردها في الفندق. لم أعرِ الأمر أية أهمية، فلا علاقة لي بذلك. في تلك الليلة، سهرت قليلاً مع بعض الشبان، وبعد ذلك، عندما ذهبت إلى غرفتي...».

حرك رأسه مستغرباً، وتابع بانزعاج: «... وجدتها في سريري».

حدّقت سادي به غير مصدقة: «في سريرك؟».

- لا بد أنك سمعتني!

- أكانت في غرفتك؟ لكن.. كيف؟

أجاب سبنسر عن السؤال الذي لم تستطع أن تتفوه به: «عملت على رفضها على الفور، لكنها لم تكن سعيدة بذلك، وقالت: «هو لن يعلم مطلقاً. حتى إنه لا يهتم»».

هزّ سبنسر رأسه بضيق، وتابع: «وهذا غير صحيح. فريتشارد يهتم بها بدون أي شك. قد يبتعد عنها لساعات قليلة لأنها تقوده إلى الجنون، لكنها تبقى زوجته. كان ذلك ليقضي على عملنا معاً، ولكن في مطلق الأحوال، أنا لا أقيم علاقات مع زوجات رجال آخرين».

شعرت سادي بالراحة، وكأن الأمر يعنيها فعلاً: «بالطبع!».

- وعندما طرأت رحلة نانومي، خشيت أن يتكرر ما حصل في برشلونة مرة أخرى.

- ألا تظنها فهمت الرسالة؟

- كلا. فهي لا تصغي مطلقاً إلى ما لا ترغب بسماعه. لكنني

تذكرت أنها حاولت إغواء دان فيتزيمونز منذ بضعة شهور، وعندما تزوج ابتعدت عنه. مع أنها لا تحترم خاتم الزواج التي تلبسه، لكنها لا تحاول إغواء متزوجين.

تابع يقول بأسى: «أعرف أنك تعتبرين أن الزواج مرادف للحب والمشاعر الرومنسية والأزهار إلى ما هنالك، لكنه ليس كذلك».

قام عن المقعد الذي يجلس عليه، وراح يذرع الغرفة من جديد.

- لطالما كان الزواج عبر التاريخ تحالفاً مبنياً على المصالح المشتركة للزوجين أكثر من كونه قصة حب مليئة بالرومنسية. أنا أدرك هذا الأمر وكذلك دينا، لذا كان زواجنا لينجح.

بعدئذٍ استدار ليواجهها ونظرة عينيه تتحداها أن تنكر الأمر.

- ما زال الأمر يبدو... دراماتيكياً بالنسبة لي.

- حسناً! إذا كنت بصدد إتمام اتفاق عمل قيمته مئات الملايين من الدولارات، ووجدت أنه معرض للانهيار بسبب حمقاء ذات رأس فارغ، فلا بد أن أفكر بحل دراماتيكي أيضاً!

- والآن، ماذا ستفعل؟

قال بنبرة ثقيلة: «الآن، أنت هنا».

أجل، صحيح. هذا الزواج المرعب ما زال قائماً بالفعل.

سألته: «وما الذي سنفعله؟».

- سنتصرف كأي زوجين عاديين أمام الجميع.

وأضاف بسرعة: «وأنا لا أتوقع أي شيء آخر، فلا تقلقي».

أجل. تصورت سادي ذلك. لكن في تلك اللحظة التقت نظراتهما، وللحظة قصيرة التمع شيء ما حي وقوي ومليء بالشوق في عيني سبنسر طياك... شيء يتدفق بالحب. لكن قبل أن تتأكد من ذلك، أبعد نظره عنها، وقال على نحو مفاجيء: «هيا. سأوصلك إلى الفندق».

قالت ببلاهة: «الفندق؟».

فهي لا تزال تشعر بتلك اللحظة الخاصة.

- حجزت غرفة لك في بلازا، قلت لك إنني سأفعل ذلك، أتذكرين؟

وعلى الفور ركع أمام حقيبتها وبدأ بوضع ثيابها القذرة فيها ثم عمد إلى إقفالها بسرعة وكأنه لا يستطيع الانتظار ليتخلص منها.

- آه! أجل. لكنني اعتقدت أن عملك هذا سيكون معاملة خاصة مقابل إحضاري شهادة ميلادك ووثيقة طلاقنا.

- لا يهم. يجب أن تنامي في مكان ما، كما أنني دفعت حجز الغرفة. فلا جدوى من هدر ذلك المال. هيا!

رفع الحقيبة، ثم فتح الباب ووقف بمحاذاته. منتظراً منها أن تتقدمه لتسير أمامه على الدرج.

من الصعب على سادي أن تقول: أريد البقاء هنا. هل تستطيع؟ لا. بالطبع لا!

لكن السؤال الأكثر رعباً، هل هذا ما تريده؟

إن إرادت أن تكون صادقة مع نفسها، فالجواب هو نعم، هذا ما تريده. وذلك الجزء الأكثر حماقة فيها، يدفعها لتطلب البقاء. لكن من الواضح أن سبنسر لا يريدها أن تبقى قريبة منه.

هو لا يرغب بها، ولا يريد أن يكون متزوجاً بها، مهما كان ما قاله في تلك الليلة منذ أربع سنوات. تلك الكلمات اليائسة والرقيقة التي تمتم بها، والتي أعطتها الأمل بأنها تعني له الكثير الكثير، بل أكثر مما يظهر، ذلك كله يبدو مجرد تخبط.

تنهدت سادي بعمق، وقالت ما عليها أن تقوله: «حسناً! شكراً لك، أنا متأكدة أنني سأستمتع بقضاء الليلة هناك».

بعد ذلك رفعت ذقنها بكبرياء، وسارت نحو الباب لتتقدمه وهما ينزلان الدرج.

لم يوصلها سبنر فقط إلى سيارة أجرة، بل دخل إلى السيارة برفقتها، واصطحبها طوال الطريق إلى البلازا، بل حتى باب غرفتها.

لكنه يتصرف بلطف وكياسة الليلة.

قال: «سأذهب، وسأعود عند الصباح لأصطحبك إلى المطار».

– لا تزعج نفسك. لا داعي لذلك مطلقاً، أستطيع الذهاب إلى المطار بنفسي.

شعرت سادي بالامتنان لأن صوتها بدا هادئاً ومتماسكاً، مع أنها تشعر بالرغبة في الصراخ. تابعت: «أريد الوصول إلى المطار باكراً للسفر على أول طائرة مغادرة، وهكذا سأصل إلى بوت عند الظهر. فلدي أعمال عليَّ القيام بها».

بدا كأنه شعر بالارتياح لما سمعه، وكأنه بالكاد يستطيع الانتظار حتى تغادر المدينة.

– لدي أعمال في المدينة طيلة هذا الأسبوع، وليس لدي الوقت للعودة إلى بوت قبل أن تسافر إلى فيجي.

– أعلم ذلك.

– حسناً! لذا يجب أن تحجزي لنفسك تذكرة للسفر على الطائرة ذاتها إلى فيجي، وسأراك في لوس أنجلس. الذهاب إلى فيجي ليس مشكلة. سأتصل بهم وأعلمهم بقدومك.

٤ ـ كلام فوق الغيوم

أمضت سادي ليالٍ عدة في فندق البلازا . . . لكن في أحلامها فقط. والآن ها هي هنا، في غرفة خاصة بها.

قال لها وهما يقفان أمام مكتب الاستقبال للتأكد من الحجز: «لم تأكلي جيداً على العشاء. إن شعرت بالجوع، اتصلي بخدمة الغرف، واطلبي ما تشائين».

بدا رحب الصدر جداً، وكثير الاهتمام واللياقة، فهو رئيس عمل ممتاز، لكنه ليس زوجاً جيداً، لأنه في الواقع لا يرغب في أن يكون كذلك. كان عليها أن تتخلص من ذلك الاحساس نحو سبنسر طياك منذ سنوات. وفي الواقع، اعتقدت سادي أنها فعلت، ولطالما قبلت الخروج برفقة بعض الرجال خلال السنوات الماضية. ليس ذنبها أنها لم تجد الشخص المناسب.

لكن البارحة، وفي اللحظة التي اكتشفت فيها أنها ما زالت متزوجة من سبنسر، انقلب عالمها رأساً على عقب، وكل تلك العواطف القديمة البائسة وغير المتبادلة عاودتها من جديد.

لا شك أنه قرر أن يمضي ليلة زفافه مع عروسه الجديدة. فمن المؤكد أنه لن يتزوج بدينا ثم يرافقها إلى فندق ما، ليتركها بمفردها هناك ويعود إلى شقته وحيداً. لكن هذا ما فعله مع سادي. في الحقيقة تصرف كأنه بالكاد يستطيع الانتظار ليتمكن من التخلص منها.

ما كان عليها أن تتفاجأ من تصرفه، بالطبع. وفي الحقيقة هي لم تفعل. لهان الأمر عليها لو لم تكن تحبه. . . لو أنها لم تحبه يوماً. . . لو

www.romancia.com

أنها تستطيع الابتسام ببساطة، وإظهار عدم الاهتمام ثم المغادرة لكنها لا تستطيع المغادرة قبل أسبوع آخر. فهو لن يسمح لها بالرحيل الآن. جلست على سريرها الواسع الكبير في فندق بلازا وشعرت برغبة في البكاء.

آه! لكنها في الواقع لا تريد البكاء! لديها أمور أخرى أكثر أهمية عليها القيام بها، كالتفكير بجدية كيف ستتمكن من الصمود طوال الأسبوع المقبل.

ليلة الزفاف هي ليلة لا تنسى مطلقاً! لطالما سمع سبنسر هذه العبارة من أصدقائه.

فكر سبنسر بضيق، كم عانى من ليالي الزفاف التي لا تنسى.

أولاً، رفض إميلي له منذ أربع سنوت، ثم زواجه اليائس من سادي، واليوم... لم يتمكن من إتمام الزفاف، ... بل تبين له أنه ما زال متزوجاً!

لطالما حاول بقوة وصرامة طوال أربع سنوت أن ينسى تلك الليلة، أن ينسى أنه ضم سادي بين ذراعيه، وأنه أقام علاقة حميمة معها، والآن ها هو يصطدم ثانية بتلك الذكريات كمن تلقى ضربة على أحشائه.

لطالما بذل جهداً غير عادي ليتمكن من وضع حد نهائي لذكريات تلك الليلة، بعد أن أدرك أن النسيان هو أفضل ما يستطيع القيام به، وهو الأمر الوحيد الذي يحقق العدل والإنصاف لسادي.

والآن يبدو أن كل ما قام به وكل المجهود الذي بذله دون جدوى. لماذا لم يبتعد ليفكر ملياً أن العلاقة مع سادي لن تعطيه أي إحساس بالسعادة، وبأنه منجذب نحو امرأة باردة العاطفة؟

المشكلة هي أن سادي ليست باردة العاطفة، فهو يتذكر بوضوح أنها لم تكن باردة العاطفة مطلقاً. وقد صدمه ذلك في الواقع.

في المكتب تبدو سادي دائماً رزينة جداً. حسناً! لم يكن ليظن أنها امرأة تستطيع أن تجعل دماءه تغلي في عروقه في الليلة التي تزوجا فيها. استلقى

في سريره الواسع بمفرده، متقلباً على أحر من الجمر، مليئاً بالشوق وهو يتذكر ليلة زفافه. والأسوأ من ذلك هو تفكيره كيف كان سيمضي الليلة لو أن سادي هنا الآن.

- تباً!

قفز عن سريره، وراح يذرع الغرفة بخطى واسعة. شعر بجسده يعترض لأن ليس هذا ما يريده، إنه يريد دفء سادي وحنانها. تباً! بعد سنوات من وضع سادي في صندوق الموظفين بدراية وعناية، نزع إعلانها أنهما ما زالا متزوجين الغطاء، عن ذلك الصندوق ما سبب الارتباك لإرادته وعقله معاً.

عادة هو لا يفكر بهذه الطريقة. لم يفعل ذلك منذ أن تخطى سن المراهقة، ومن المؤكد أنه لا يقوم بمثل هذه الأمور بتهور.

حاول أن يستخدم تفكيره المنطقي ليفهم ما الذي يحدث معه. هل سيطر عليه هذا الانشغال الكامل بسادي لأنه لم يحصل على دينا الليلة؟

يبدو الأمر كذلك. فقد توقع أن يمضي ليلته برفقة دينا، والآن لم يعد يستطيع القيام بذلك.

فتح الستائر التي تحجب الرؤية، ووقف يحدق في الظلام. هناك أضواء قليلة جداً عبر النوافذ المشرفة على شقته. وهناك عدد قليل أيضاً من الذين استيقظوا وبدأوا العمل عند الساعة الثالثة صباحاً، فمدينة نيويورك لا تنام مطلقاً. لكنه يستطيع المراهنة أن سادي نائمة الآن.

لو أن دينا هنا لشعر أنه أفضل حالاً بلا شك. لكن ليست دينا من يتخيلها بقربه، بل سادي هي المرأة التي يتخيل أنها تلامسه وتضمه إليها.

- تباً!

سار نحو غرفة الحمام، وفتح صنبور المياه الباردة في المغطس، ثم نزع ثيابه ووقف هناك، تاركاً المياه الباردة تطفىء حرارة جسده وتهدىء أعصابه.

بقي واقفاً حتى أخذت أسنانه تصطك ببعضها، واقشعرت بشرته.

وعندما شعر أنه لم يعد يستطيع التحمل لفترة أطول، خرج من تحت الماء، فجفف جسمه، وعاد إلى غرفته.

أول ما فكر به هو أن سادي محظوظة جداً لأنه تصرف بتهذيب ولياقة كافيين ليصطحبها إلى فندق بلازا بدلاً من أن يدعوها لقضاء الليلة هنا معه. لو أنه فعل ذلك. . .

أطلت مارتا سافاز برأسها إلى مكتب سادي في بوت بعد ظهر اليوم التالي. تجهمت قسمات وجهها، ونظرت إليها بقلق وهي تسألها: «هل أنت بخير؟».

- ماذا؟ آه؟! نعم. . . بالطبع، أنا بخير.

أعادت سادي أفكارها إلى الحاضر، وحاولت أن تلصق ابتسامة مشرقة على وجهها وهي تتابع: «ولِمَ يجب ألا أكون كذلك؟».

- أخبريني أنت؟

وبدلاً من أن تلوح بأصابعها وتتجه عبر القاعة نحو مكتبها حيث ترسم لوحات جدارية ضخمة ستعلق على جدران مصرف أعيد تجديده مؤخراً، دخلت مارتا مكتب سادي وجلست على مقعد سبنسر وهي تقول: «تبدين مخيفة».

- شكراً على هذا الإطراء.

أبقت سادي صوتها رقيقاً، مع أنها مررت يدها عبر شعرها محاولة أن تبدو بحالة أفضل، لكنها علمت أنها لا تستطيع القيام بالكثير لإخفاء الدوائر السوداء تحت عينيها، وشحوب وجهها. تابعت ببساطة: «إنني متعبة فقط».

- متى عدتِ؟

- البارحة بعد الظهر، وسأسافر من جديد غداً.

- أتسافرين مرة ثانية؟ مرتان في الأسبوع؟

يعلم الجميع أن سادي قلما تسافر إلى أي مكان. يمكنها التملص بالقول إن سبنسر يريدها في نيويورك من أجل اجتماع هام، لكن مرتين في

الأسبوع أمر لم يُسمع به في بوت من قبل.

ابتسمت مارتا وعلّقت: «لا تقولي لي إنك قررت أخيراً أن تأخذي إجازة».

شعرت سادي بالرغبة في قول ذلك. ففي النهاية، يمكنها القول إن الرحلة إلى فيجي إجازة. أليس كذلك؟ لكنها لا تريد الكذب على مارتا. تحب سادي كل الفنانين الذين يعملون في المبنى، وأولئك الذين يعرضون أعمالهم في صالة العرض في الطابق الأرضي أو في المكاتب في الطابق الثاني، لكنها تحب مارتا أكثر من الجميع.

عندما قابلت مارتا للمرة الأولى، وهي فنانة ترسم الجداريات أتت إلى بوت السنة الماضية، شعرت بإحساس مرعب من الغيرة. ففي الواقع، قدمت مارتا إلى هنا لأنها قابلت سبنسر في الطائرة أثناء عودته من اليونان، وقال لها إنها تستطيع القدوم إلى شركته لترسم لوحات جدارية.

شعر سبنسر بالسرور عندما ظهرت مارتا في بوت، وطلب من سادي أن تساعدها لتجد مكاناً تعيش فيه، وتقترح عليها عدة أماكن لتجد عملاً فيها. عندما أصبحت بمفردهما قالت مارتا: «لا تقلقي. أنا لست مهتمة مطلقاً بسبنسر».

مع أن سادي لم تشر مطلقاً إلى أن لديها أي اهتمام بسبنسر، وهي تتذكر أنها أوضحت ذلك بسرعة. رفعت مارتا كتفيها قائلة: لا داعي لتقولي ذلك، فأنا لست عمياء».

هل الأمر بهذا الوضوح إذاً؟ لا شك أن الرعب ظهر على وجهها، لأن مارتا ابتسمت لها بتعاطف، وهزّت رأسها قائلة: «أرى ذلك لأنني أشعر بذلك الشعور نحو شخص آخر».

وتبين أن ذلك الرجل هو ثيو، وهو زوج مارتا الآن. لكن لم يتم الأمر بسهولة. عندما ظهر ثيو سافاز مصمماً على الزواج بها، راقبت سادي بافتتان البحار اليوناني الحازم. ومع أن مارتا تحبه، لم يكن من السهل على ثيو أن يتمكن من إقناعها بالزواج به.

تجاهلت مارتا كلياً تصميم ثيو على الزواج: «إنه يشعر بالمسؤولية تجاهي لذا هو يطلب الزواج بي».

حسناً! لا بد أن هذا تعقيد كافٍ، فمارتا لا تريد من ثيو أن يتزوجها بدافع من الواجب. إنها تريد زواجاً مبنياً على الحب.

تتفهم سادي جيداً هذا الاحساس، فمنذ سنوات طويلة وهي تريد الحصول على حب سبنسر.

قالت بهدوء: «لن أذهب في عطلة، إنني ذاهبة مع سبنسر إلى نانومي لمدة أسبوع. أنت تعرفين بأمر ذلك المنتجع في فيجي».

لمعت عينا مارتا وقالت: «حسناً! وأخيراً، لا بد أنه أبصر النور الحقيقي».

اتسعت ابتسامتها وهي تتابع: «لطالما فكرت بضربه بمقلاة كبيرة على رأسه».

من الواضح أنها سعيدة جداً، ما جعل سادي تشعر بالضيق لأنها ستفسد عليها مرحها.

قالت: «إنها رحلة عمل».

– أليس لأنه أخيراً أصبح يهتم بك؟ إنه يأخذك إلى منتجع مميز. . .

تابعت مارتا كلامها وهي تشير مستفهمة: «. . . ليدعك تعملين هناك؟».

هزّت رأسها مستغربة وهي تضيف: «هل هو واقع في الحب؟».

– لا، هو ليس كذلك. إنه. . . فقط بحاجة إلى زوجة.

في اللحظة التي تفوهت بها بهذه الكلمات، تمنت سادي لو أنها تستطيع استعادتها، لكن فات الأوان على ذلك. أخذت مارتا تحدق بها مذعورة.

– لن تفعلي ذلك! هل فقدت عقلك، سادي؟ كيف يمكن له أن يتلاعب بك على هذا النحو؟ لن تسمحي لهذا الرجل المتسلط أن يقدمك للجميع على أنك زوجته!

ابتلعت سادي غصة بصعوبة وهي تقول: «إنها الحقيقة. أنا زوجته!».

بدت مارتا وكأنها اختنقت بابتلاع لسانها. فتحت فمها، لكنها لم تستطع أن تتفوه بأية كلمة، ثم عادت فأغلقته. اتسعت عيناها ولم ترمشا للحظات طويلة فيما راحت تحدق بسادي غير مصدقة ما سمعته. وهذا ما جعل سادي تزداد إحساساً بالاحراج والحزن.

فجأة تبدلت ملامح مارتا كلياً. تبدل غضبها وأصبحت ملامحها أكثر رقة ونعومة. مدّت يدها وأمسكت بيد سادي لتضغط عليها برفق واهتمام، ثم سألتها: «منذ متى؟».

ابتلعت سادي غصة جديدة وقالت: «منذ أربع سنوات».

توقعت سادي أن تصرخ مارتا من الدهشة، لكن هذه الأخيرة تنهدت وضغطت على يدها مرة ثانية وهي تقول: «آه! أيتها الغالية المسكينة».

تنفست بصعوبة متحدية الألم الذي تشعر به وقالت: «هذه غلطتي وحدي».

علمت سادي أن عليها أن تشرح الأمر لمارتا. ليس كل شيء، لكن على الأقل ما تستطيع قوله عن حقيقة ما حدث. حاولت أن تجعل كلامها منطقياً. فعملت على رسم الخطوط العريضة لترابط الأحداث، وانتهت بالقول: «قال لي يومها: «ستتزوجين بي أليس كذلك؟» و. . . كان علي أن أقول لا».

قالت مارتا بحدة: «آه! كيف تستطيعين أن تقولي لا؟ عندما يصمم سبنسر على أمر ما لا يتراجع مطلقاً. كما أنك. . .».

توقفت عن الكلام لتتابع بصوت أكثر رقة: «. . . تحبينه».

اعترضت سادي: «لكنه لا يحبني، أنت ما كنت لتتزوجي ثيو لو اعتقدت أنه لا يحبك».

قالت مارتا: «قصتنا مختلفة. لم أكن أعرف ثيو. . . ليس بشكل عميق. نحن لم نعرف بعضنا لسنوات مثلك أنت وسبنسر. ما بيننا كان

مجرد علاقة عابرة، وتلك كانت غلطتي لا غلطته».

حدّقت سادي بها متسائلة: «غلطتك؟».

قالت مارتا وهي تبتسم بسخرية: «إنها قصة طويلة، ناهيك عن القول إنني أنا من دفع ثيو لإقامة تلك العلاقة. قلت له، لا داعي لأي ارتباط جدي».

تورد وجهها وتابعت: «توقفي عن التحديق بي هكذا. كنت مجنونة، أيرضيك ذلك؟ بكل الأحوال، وافق على الأمر، وعلمت أنه لا يريد إلا علاقة عابرة. وهكذا عندما أتى طالباً الزواج بي، بالتأكيد لم أصدق أنه يفعل ذلك لأنه يحبني».

– لكنه تمكن من إقناعك. علمت أنه يحبك بدون أي شك، ولهذا تزوجت به. لم تفعلي مثلي. تزوجت من سبنسر لأنني اعتقدت . . . . لأنني تمنيت. . .

لكنها لم تستطع حتى التلفظ بتلك الكلمات التي ترغب بها بشدة. وبدلاً من ذلك طرفت عينيها بقوة، متضايقة من الدموع التي ملأتهما، ثم تمتمت: «. . . لأنني غبية».

قالت مارتا بدون أي تردد: «بل هو الغبي الأحمق».

وضعت ساقاً فوق الأخرى وتابعت: «وماذا حدث الآن؟».

– كان عازماً على الزواج بدينا ولسون. وطلب مني أن أحضر له شهادة ميلاده وأوراق الطلاق. اتصل بي، وأخبرني بما يريده، وأنهى الاتصال. وذهبت للبحث عما طلبه مني، فتبين لي أنه لم ينجز معاملات الطلاق. لهذا كان عليّ الذهاب إلى نيويورك لأخبره.

– ماذا؟ أثناء الزفاف؟

ابتسمت مارتا عندما هزّت سادي رأسها بالإيجاب، وتابعت: «حسناً! هذا سيعلّمه أن يترك هاتفه مفتوحاً».

– أعتقد ذلك. سنعمل على إتمام الطلاق، لكننا لا نستطيع القيام بذلك الآن. إنه بحاجة إلى زوجة لتذهب معه إلى فيجي الأسبوع القادم.

– بحاجة إلى زوجة؟

قالت سادي بحزم: «هذا أمر يتعلق بالعمل، كما أنه شرعي مئة بالمئة، وهو يحاول الاستفادة بشكل لائق من وضع سيء».

تنهدت مارتا قائلة: «هذا وضع معقد وصعب جداً».

وافقتها سادي: «أعلم، لكن عليّ القيام به».

– لماذا؟

– وافقت على الزواج به، وما زلت زوجته.

تمكنت سادي من قول ذلك بصعوبة، لكنها تابعت: «يمكنني القيام بذلك».

نظرت إلى مارتا التي علا وجهها الارتياب والشك، فتابعت تخفف عنها: «ستسير الأمور على ما يرام. بعدئذٍ سنحصل على الطلاق. وعندها . . . أستطيع الرحيل».

حدّقت مارتا بها: «آه، حباً بالله! هل تصغين إلى ما تقولينه؟ أنت تحبينه. كيف يمكنك الابتعاد عنه؟».

تعلم سادي أنها لا تستطيع إنكار ما سمعته.

– أنت رحلت وابتعدت عن ثيو.

– في الواقع، لم أفعل ذلك. ثيو تخلى عني.

حدّقت سادي بها باستغراب: «ماذا؟».

– رحل عن سانتوريني، وذهب إلى الولايات المتحدة. بعد ذلك رحلت أنا أيضاً. لأنني شعرت بألم شديد هناك بدونه.

اتسعت عينا سادي أكثر فأكثر، وقالت: «أحقاً؟».

أرادت أن تعرف المزيد. فمن الأفضل لها أن تصغي إلى قصة ذات نهاية سعيدة على أن تفكر بمأساتها الخاصة.

لكن مارتا قالت: «ما حدث بيني وبين ثيو لا أهمية له هنا. الأمر المهم هو أنك تحبين سبنسر وقد أحببته لسنوات. بالإضافة إلى أنك أمضيت أربع سنوات من عمرك متزوجة به! لا يمكنك أن ترحلي بهذه

www.elromancia.com

السهولة. عليك أن تقاتلي لأجله».

حدّقت سادي بها مبهوتة، فيما تابعت مارتا: «هذا ما ستفعلينه، إلاّ إذا كنت جبانة حقاً. وبصراحة، لم أفكر يوماً أنك جبانة».

قالت ذلك وكأنها تتحداها. لكن سادي قاومت التحدي بقولها: «وكيف لي أن أفعل ذلك؟ هل أثبته من ذراعيه؟ وحتى لو ربحت، ماذا سيفعل؟ سيبقى متزوجاً بي؟ لا، شكراً. كما أنني...».

تنهدت قبل أن تتابع: «.. ما كنت لأربح بهذه الطريقة».

- إذاً، هل ستتخلين عنه؟ ستذهبين مع الرجل الذي تحبينه إلى الجنة لمدة أسبوع، وبعد ذلك ستنسحبين وتهربين؟

اعترضت سادي، وأدركت الحقيقة وهي تتفوه بها: «لم يكن ذلك ما أريد القيام به، لكن لن تنجح علاقتنا. فأنا أعرفه منذ الأبد، وعملت لديه لسنوات، وهو لم يدعُني مرة للخروج برفقته!».

ذكرتها مارتا بحزم: «لكنه طلب منك الزواج به، وذلك لا علاقة له بالعمل. فكري بذلك».

هذا ما فعلته سادي. وفكرت بشيء آخر، أيضاً. الشيء الوحيد الذي جعلها تتمسك بأمل الاحتفاظ به كل تلك السنوات. فكرت بما حدث في ليلة زفافهما عندما وصلا إلى جناح شهر العسل.

يومها شعرت سادي بالقلق، منتظرة أن يتذمر سبنسر لإدراكه أنه تزوج من المرأة غير المناسبة، لكن سبنسر بدا منشغلاً بها بكل حواسه. بالكاد دخلا إلى الجناح حتى ضمها إليه وعانقها بشوق وقوة، وبكل ما يمكن لرجل مغرم بشدة أن يفعل.

تفاجأت سادي وشعرت بفرح كبير. تجاوبت بكل الشوق الذي تحمله له في قلبها منذ وقت طويل. بادلته العناق، وضمته إليها، وشجعته.. شعرت أنها تذوب كالشوكولا الساخنة وهو يضمها إلى صدره بشوق لا يوصف.

علاقتهما بدت رائعة ومميزة، وانتهت وهما في حضني بعضهما.

وهمس في أذنها بصوت مرتجف: «أنت من يجب أن تكون لي دائماً».

هي تفكر بذلك الآن. هل قصد ما قاله؟ هل علم أنه قال ذلك؟ من المؤكد أنه لم يقل ذلك ثانية، كما لم يتلفظ بأي شيء قريب منه. لكن رغم ذلك، لو أنه...

سألتها مارتا: «ما بالك؟».

- أنا فقط... أفكر.

علقت مارتا متأملة: «هل وجدت سبباً لتناضلي من أجله؟».

رسمت سادي ابتسامة مترددة على شفتيها، وعلقت: «ربما».

* * *

لم يتصل سبنسر بسادي طوال ما تبقى من الأسبوع.

لم عليه أن يفعل؟ سوف يلتقيان في لوس أنجلس نهار الجمعة. وسوف يمضيان ساعات على متن الطائرة للتحدث عن الأعمال. وهو ليس بحاجة إلى التحدث إليها كل يوم، مع أنه من النادر أن يمر يوم من دون أن يفعل، أما الآن فالأمر ليس هاماً. هي تعلم ما الذي يجب أن تفعله. إنها ذكية وكفوءة جداً.

وهي زوجته!

وسبنسر طياك لا يدري ما الذي يمكن قوله لزوجة. لا سيما أن الزوجة هي سادي.

لو أنه تزوج من دينا، لما كان الحديث بينهما مشكلة على الإطلاق. كان بإمكانها التحدث عن العمل وعن المشاريع المستجدة التي قد يحققانها، وعن النفقات المادية للمنتجع وكيفية الوصول إليه. بالطبع هو يتحدث عادة مع سادي عن الأعمال أيضاً، لكن ليس الآن. ليس وهو يشعر بأن لسانه ملتصق بسقف حلقه. ليس وكل ذكريات تلك الليلة التي أمضياها تملأ رأسه ولا تسمح له بالتفكير بأي شيء آخر.

سادي تلك لا يستطيع التحدث إليها مطلقاً.

وبالطبع، لم تحاول سادي أن تتصل به أيضاً.

لم تتصل لتقول له إنها وصلت إلى بوت، أو لتخبره عن أي من مشاريعهما المستعجلة. ما من شيء بحاجة إلى اهتمامه الفوري، لكن على الأقل بإمكانها أن تطلعه على كيفية سير الأمور. لم تتصل به مطلقاً لتخبره متى ستصل طائرتها إلى لوس أنجلس.

الاتصال الوحيد الذي جرى بينهما طوال الأسبوع كان عبر البريد الالكتروني، حيث أخبرها سبنسر ما الذي يريد منها أن تفعله. أكد لنفسه أن عمله هذا أكثر فعالية من الاتصال الهاتفي. لكن هذا الأمر أيضاً سبب له الضيق والتوتر، لأن الإجابة الوحيدة التي كان يحصل عليها منها هي كلمة وحيدة: «أنجز».

أرسل لها خمس رسائل اليوم، وجميعها تعلمها عن مسار تنقلاته في البلاد، ولم يحصل على أية إجابة منها. أرسل لها رسالة أخرى ما إن وصل إلى لوس أنجلس. ومرة ثانية لم يتلقَ أية إجابة. بالطبع! لا بد أنها في الطريق إلى هناك هي أيضاً.

عليهما أن يناقشا بعض الأمور ما إن تصل إلى هنا، لأن الأمور لن تنجح إن تجاهلته في نانومي. فالسيد إيزوغاوا حاد الذكاء، ولن يقتنع أنهما زوجان سعيدان إن كانا يزمجران ببعضهما أو يتجنبان بعضهما طوال الأسبوع.

حتى لو كان هو وسادي لا يشعران برغبة في التحدث مع بعضهما، عليه أن يقول لها بصراحة ما الذي يتوقعه من زوجته. كما أن عليه أن يتصرف كزوج لها، وليساعده الله.

سمع صوتاً مألوفاً من خلفه: «مرحباً! أنا هنا».

استدار سبنسر على الفور. نعم... إنها هنا... كما هي دائماً أنيقة عملية، دقيقة ومسيطرة تماماً على كل ما حولها. الحمد لله!

خفق قلبه في صدره بطريقة غريبة لمجرد رؤيتها، أغمض عينيه بشدة وهو يحاول بقوة أن يسيطر على أفكاره. لكن تلك الأفكار اجتاحت ذهنه متجاهلة انزعاجه، فظهر العبوس على وجهه.

قالت سادي باستياء: «من الواضح أنك مسرور برؤيتي. هل بدلت رأيك؟».

سمع نبرة في صوتها أعلمته أنها ليست سعيدة بما يحدث تماماً مثله، إن لم يكن أكثر.

- ماذا؟ لا، بالطبع لا. أنا فقط أشعر بالارتياح لأنك أخيراً أصبحت هنا.

حرك يده ليتمكن من النظر إلى ساعته: «وصلت في وقت مبكر، أليس كذلك؟».

- أحقاً؟ لا أعتقد ذلك. كان هناك الكثير من الأمور التي يجب عليَّ القيام بها.

من دون التفوه بأية كلمة أخرى، استدارت، وسارت بطريقة مستقيمة نحو مقعد خشبي طويل، وجلست عليه. سار سبنسر وراءها، وهو يشعر بالانزعاج مما يبدو بوضوح رفضاً كاملاً له.

- إذاً هل وجدت بديلاً لك؟

- بالطبع. ما كنت لآتي إلى هنا لو لم أفعل.

- ومن اخترتِ؟

ترددت للحظة قبل أن تقول: «غرايس».

حدّق بها غير مصدق: «غرايس! أتعنين غرايس تردنيك؟ هل فقدت عقلك؟ غرايس في الثمانين من عمرها».

- إنها في الثانية والثمانين من عمرها، بالتحديد.

رفعت ذقنها وحدّقت إليه بنظرة قاسية كالفولاذ وهي تتابع: «عيد ميلادها في الحادي عشر من كانون الثاني. وقد أرسلت لها بطاقة معايدة... على العكس منك. وهل تعلم أنها تخرجت من كلية إدارة الأعمال في بوت وأنها هي من ألقت خطبة الوداع في حفلة التخرج؟».

- لا أهتم لذلك، فهذا لا يؤهلها لتدير أعمالي. ما الذي تفكرين به، بحق السماء؟ طياك مؤسسة عالمية توازي ملايين الدولارات.

- وأنت من أصر على مجيئي إلى فيجي معك، وأنا لا أستطيع التعامل مع المستجدات وملاحقة تفاصيل العمل يومياً من أواسط المحيط الهادىء، لذلك كان عليّ إيجاد من يستطيع القيام بذلك. وجدت غرايس، وإذا ما احتاجت إلى بعض المساعدة، لن تقوم بالعمل بمفردها.

تنهد بارتياح وقال: «آه!».

ما زال يشعر بالانزعاج لأنها تعمدت أن تضايقه، لكنه اطمئن إلى أنها ستجد من يساعدها. سألها: «حسناً! من يكون. . ؟».

- طلبت مساعدة كل من كلير وجيريمي.

الآن أصبح سبنسر فعلاً كمن أصيب بسكتة دماغية.

- جيريمي؟! كلير لا بأس بها، على ما أعتقد. على الأقل هي ليست مجرمة، مع أنها لم تتعدَ الخامسة عشرة من عمرها. لكن جيريمي! حباً بالله، سادي! إنه شاب جانح!

- كان كذلك. لكن أنت تعرف تماماً أنه لن يقدم على عمل مدمر في حياته.

وكلاهما يعلمان أن سبنسر كان أكثر جنوحاً من جيريمي في مطلع حياته.

تجهم وجهه وقال بغضب: «قمت بكل ما توجب عليّ».

- وهذا ما يفعله جيريمي. قام بعمل رائع في رسم الجداريات، وأنت تعلم ذلك. كما أن ثيو ومارتا أوصيا به، وهما يعتقدان أنه سيقوم بعمل رائع. وأنت تعلم أنه لن يعارض غرايس.

- وكيف لي أن أعلم أنه لن يقدم على قتلها؟

- لأنه ذهب إلى مركز الأحداث بسبب رسمه لصور إباحية، وليس لأنه اعتدى على السيدات العجائز! حباً بالله، سبنسر! حصل الشاب على درجة امتياز في مطالعة الكتب الفصل الماضي. وكلير ستكون رائدة رجال الأعمال في إميركا في المستقبل.

- أمر ممتاز لها. وهل غرايس هس الرائدة السابقة لرجال الأعمال؟

- لا أعلم. لكن ما أعلمه هو أنهم جميعاً مناسبون، وإن كنتَ لا تريدهم، قل ذلك الآن لأنهض وأتجه مباشرة إلى بوت!

لمعت عيناها بشرارات من النار، وظهر النمش على خديها على شكل بقع حمراء اللون، وأخذت تحدق به بغضب تماماً كما تفعل عندما يتشاجران بشأن أمر ما. فجأة شعر سبنسر بارتياح كبير وبإحساس قوي من الأمان، فهي لا تزال سادي التي يعرفها في النهاية. ابتسم لها، وما لبث أن شعر بطعنة مفاجئة من الألم وهو يدرك أن سادي هذه زوجته!

اختفت ابتسامته على الفور. إنه بحاجة إلى التحدث إليها بشأن ذلك، لكن ليس الآن، تنفس سبنسر بصعوبة وقال: «حسناً! سنرى ما سيحدث. أليس كذلك؟».

كل آمالها وأحلامها وتصميمها القوي بأن تجعل سبنسر يقرر التمسك بزواجهما. . تلك الاحتمالات التي بدت لها سهلة التحقيق وهي جالسة في المكتب في بوت، حيث عملت مارتا على تشجيعها، لم تتحمل الصمود للحظة واحدة. إنه يعاملها تماماً كما يفعل دائماً. يجادلها ويصرخ في وجهها، وهي تجيبه بصراخ مماثل بصورة لا شعورية.

ما إن صعدا إلى الطائرة قالت: «أنا آسفة، فذلك أفضل ما استطعت القيام به، وأعتقد أن كل شيء سيسير على ما يرام. أعطيت رقم الهاتف في نانومي لغرايس كي تتصل بنا إذا ما حصلت أية مشكلة».

زفر سبنسر بضيق، وأملت سادي أن تكون تلك إشارة على أنه هدأ. لكنها ليست متأكدة من ذلك. فقد تركها سبنسر تسير أمامه إلى المقصورة، وما إن جلسا حتى فتح حقيبته الصغيرة وأخرج منها كمية من الأوراق.

قال: «علينا أن نراجع هذه الأوراق».

- الآن؟

- بالطبع.

مررت سادي لسانها فوق شفتيها محاولة أن تبتلع غصة خيبة الأمل التي علقت في حلقها. قالت وهي تبذل جهداً كبيراً لتبدو هادئة: «حسناً

لنبدأ العمل».

عادت الأمور إلى طبيعتها بينهما إلى حد بعيد. انطلق سبنسر بالكلام بدون توقف. وبدا لها أنه كدس أعمال أسبوع بأكمله ليناقشها معها.

أمضت سادي الأيام الثلاثة الأخيرة وهي تستعد للأسبوع القادم، محاولة أن تتخيل كيف ستكون حياتها وهي زوجة سبنسر طياك، وكيف ستتشارك معه كوخاً، وتبتسم له بحب، وتعانقه... لكن كما يبدو لها بوضوح فإن سبنسر لم يفكر بهذا الأمر مطلقاً.

- هل تنتبهين لما أقوله، سادي؟

- ماذا؟

تورد خداها وهي تحاول أن تعيد تركيزها وأفكارها إلى ما يقوله.

- إني آسفة، لكنني أشعر بالتشنج قليلاً. لا أستطيع تحريك قدمي.. إذا سرت قليلاً ربما سأصبح بحال أفضل. سأعود على الفور.

لكنها أخذت كل الوقت الذي تحتاجه. سارت عبر الممر، ودخلت غرفة الاستراحة، وغسلت وجهها بالماء. وعندما عادت إلى المقصورة، وجدت أن مضيف الطائرة يحضر الطعام. ما إن انتهيا من وجبة الطعام، حتى عاد سبنسر لسحب أوراقه من جديد. في تلك اللحظة بدأ عرض الفيلم على الشاشة أمامهما.

- آه... رائع! إنه فيلم لهيوغ جاكمان!

شعرت سادي بالفرح، وحاولت أن تظهر ذلك أكثر مما شعرت به فعلاً، لأنها حتى مع وجود هيوغ جاكمان، فهي لا تريد التعامل مع سبنسر خلال الساعات القليلة القادمة.

- أعتقد أنك ترغبين بمشاهدة هذا الفيلم. لا بأس بذلك، سأنجز بعض الأعمال العالقة.

أمسك سبنسر جهاز الكمبيوتر النقال وبدأ يطبع عليه بغضب واضح. عندما انتهى الفيلم وعادت الأضواء إلى المقصورة، توقف عن الطباعة ونظر إليها.

- علينا أن نتحدث.

بدا غامضاً وحزيناً، ومختلفاً تماماً عن الرجل الواثق القوي الذي تعرفه. قالت سادي بحذر: «حسناً!».

بدا كأنه يفكر ملياً بما سيقوله، وهذا أيضاً أمر جديد عليه. فسبنسر يقول دائماً أية كلمة تلمع في رأسه، وبعد ذلك يعملان على مناقشتها أو الشجار بسببها.

قال أخيراً: «أعلم لماذا تزوجت بي».

أهو يعلم حقاً؟ أيعلم أنها أحبته؟

شعرت سادي على الفور أن تلك الوجبة المميزة التي تناولتها في الدرجة الأولى من الطائرة أصبحت في حلقها. أخذت تصلي كي يعود الطعام إلى معدتها. ولم تفتح فمها، إلا بعد أن تأكدت من ذلك.

بعدئذٍ قالت: «أحقاً؟».

هزّ سبنسر رأسه متابعاً بالنبرة الحادة والحازمة نفسها: «وأريدك أن تعلمي أنني أشعر بالكثير من الامتنان والتقدير لما فعلته».

الامتنان والتقدير! ما الذي يقوله؟ هي تحبه وهو يشعر بالتقدير لعاطفتها نحوه؟ تجهم وجهها، وشعرت بالترقب.

مال نحوها بجدية مطلقة. تابع برزانة: «أدركت أن كل ما قمت به هو محاولة منك للمساعدة. وفعلت ما يجب فعله من أجل الشركة...».

حدّقت به سادي كالمذهولة. ألهذا السبب يعتقد أنها تزوجت به؟

-.. وأنا أشعر بالكثير من الامتنان لك. أعلم أنه عمل صعب عليك. أقصد... الزواج... والطلاق أو اللاطلاق.

لوى شفتيه بانزعاج، وتابع: «الأمر الأخير جعل الأمور أكثر سوءاً، لكننا نستطيع أن نسوي الأمر بطريقة جيدة رغم هذا الوضع السيء. نحن بالغان، عاقلان ومنطقيان. أليس كذلك؟».

هل هما كذلك فعلاً؟ إذاً لماذا تشعر برغبة في قتله؟ لم تتفوه بأية كلمة، بل تابعت التحديق به.

تابع قائلاً: «يمكننا حل هذه المسألة. أليس كذلك؟».

نظر إليها متوقعاً الإجابة، وكأن عليها أن تقول شيئاً. لكن ما الذي تستطيع سادي قوله؟ أتقول: أحبك، أيها الغبي الأحمق؟

بدت تعابير عدم الصبر على وجهه، فيما تابع يقول: «حسناً! إن كنت لا تريدين التحدث عن الأمر، فلا بأس. آسف لأنك تشعرين بالسوء. أحاول فقط أن أقول لك إنني أفهمك، وإنني ممتن لك».

آه، رائع! هذا تماماً ما تريده، الامتنان!

أضاف بتوتر: «كما أتمنى ألا يكون ما أطلبه منك الآن صعب جداً عليك».

قالت بضيق وانزعاج: «وما الذي ستطلبه مني؟ أقصد.. ما هو بالتحديد؟».

حسناً! هي من سألت، فهي تستحق هذا الجواب.

ضاقت نظرته وهو يقول: «لكنني أتوقع منك أن تتصرفي كزوجة لي. زوجة سعيدة جداً».

تعمدت سادي أن تنظر إليه بعينين واسعتين، وقالت تستفزه: «وماذا يعني ذلك؟».

صرّ سبنسر على أسنانه بقوة: «أعني التظاهر بأنك تحبينني... ولو قليلاً».

قالت بصدق: «أنا حقاً أحبك، عندما لا تتصرف كالأحمق».

قطّب جبينه وسألها: «وماذا تعنين بقولك؟».

- أعني أنك تثق بي لأقوم بكل أعمالك الأخرى. ثق بي في القيام بهذا الأمر أيضاً.

بدا للحظة كأنه أصيب بصفعة، لكنه هزّ رأسه وقال: «بالطبع، أنا أثق بك، فقط أردت توضيح الأمور. لكي تعرف ليوني...».

ثم أضاف: «... وإيزوغاوا أيضاً».

شعرت سادي بالتعب فجأة، فقالت تعده بصوت كئيب: «سيعرفان

بدون أي شك».

إنها ترغب حقاً بأن تجعل هذا الزواج صحيحاً ودائماً، أما سبنسر فلا يفكر إلا بالتظاهر، وهو لا يريد أي شيء حقيقي قد تقدمه له.

- حسناً!

توقف عن الكلام للحظة، ثم أضاف: «أنت تدركين أننا سنتشارك الإقامة في كوخ واحد، وهو أحد تلك الأكواخ المعلقة، وفيه غرفة نوم وغرفة جلوس وسريران».

فكرت أن البحث في هذا الأمر يفوق احتمالها في الوقت الحالي ربما لأنها تعرضت للكثير من الضغوط والارهاق منذ أن قال لها سبنسر إنه سيتزوج بدينا، وربما لأن أحلامها عادت فجأة إلى الحياة، كل ما تعرفه هو أنها لا تستطيع التعامل مع هذا الأمر ومعه في هذا الوقت العصيب.

قالت: «حسناً! مهما يكن الأمر، سأفعل ما بوسعي لأقنع ليوني والسيد إيزوغاوا وكل شخص آخر بأنني زوجة مغرمة بك بقوة. والآن، إن كنت قد انتهيت من الشرح، فأنا راغبة في النوم».

ومن دون أن تعطيه فرصة ليجيب، لفّت جسمها بالغطاء الذي قدمه المضيف لها في وقت سابق، ومالت بمقعدها قدر ما تستطيع إلى الوراء، ثم أدارت ظهرها له، وأطفأت النور قربها.

٥ - خاتم وذكرى!

نامت سادي طوال الوقت المتبقي للرحلة، أما سبنسر فلم يتمكن من النوم مطلقاً. حاول أن يفعل، فهو معتاد على النوم لفترة قصيرة في أي وقت يستطيع تأمينه؛ في حجرة الانتظار، في المصرف، أو في الطائرة، أو حتى وهو واقف في ردهة واسعة. فالرجل الذي يستطيع النوم في شاحنة لمدة سنتين يستطيع النوم في أي مكان.

لكن كما هو واضح، هو لا يستطيع النوم عندما تكون سادي موريسي نائمة بجانبه. راقبها لساعات وهو يطحن أسنانه بإحباط. ظل مستيقظاً ومتوتراً بينما سادي، تنام كأنها طفلة صغيرة.

المشكلة هي أنها ليست طفلة. فالأطفال لا يملكون شعراً حريرياً أسود اللون يلامس خدودهم. ولا يبتسمون ويتنهدون أثناء نومهم. لا يريد سبنسر أن يشعر بالانجذاب نحوها من جديد، مع أنه رغب بأن يمرر أصابعه بخفة على بشرتها الناعمة البيضاء.

- تباً!

تلفظ بالكلمة من بين أسنانه، وأبعد نظره عنها وهو يمسك بيديه إلى جانبي المقعد بشدة. ظهرت المضيفة على الفور، قائلة: «سيدي! هل كل شيء على ما يرام؟».

سحب سبنسر نفساً قوياً، وقال بصوت حاول جاهداً أن يبدو طبيعياً: «آه! فقط تذكرت شيئاً ما».

- هل أستطيع إحضار أي شيء لك؟

دواء للنوم؟ أم مسدس؟

قال أخيراً: «القهوة... ابريقاً كبيراً من القهوة. احتاج إلى الطاقة كي أعمل».

إنه لا يكذب، فلديه الكثير من الأعمال، وهو غالباً ما يلجأ إلى العمل ليبعد أفكاره عن ظروف حياته؛ لينسى ظلم والده، ويمحو من رأسه كلام أمه اللاذع.

أحضرت له المضيفة القهوة، فأبعد جهاز الكومبيوتر. وفتح ملفاً يختص بمواصفات مبنى في ساو باولو، قدم ماتيوس غونزالفز توصية بشرائه.

حاول أن يركز على عمله، لكنه لم يستطع فصدرت عنه غمغمة بالرغم عنه. تحركت سادي واستدارت نحوه: «همم؟».

أطلق شتيمة في سره. أدرك أنه إذا ما حرك عينيه قليلاً فقط بإمكانه أن يرى وجهها، ويشبع نظره من جمالها. لقد عانقها عناقاً حميماً من قبل... عناقاً حقيقياً، ليس كتلك المعانقات التي يسمح لنفسه بتبادلها معها تعبيراً عن صداقتهما الطويلة.

كم يتوق إلى تكرار ذلك... بالطبع! سوف يعانقها مراراً من جديد في هذا الأسبوع. لن يكتفي بمعانقة لطيفة بريئة كعادته، وذلك من أجل إقناع الجميع بقصة زواجهما الجديد. سيسمح لنفسه بضمها إليه و...

توقف! توقف عن ذلك!

التعلّق بسادي موريسي هو آخر شيء عليه القيام به، فهي لا تريده، وقد تزوجت به كتعبير عن تعاطفها معه لا أكثر. تباً للأمر! قال لها إنه يتفهم دوافعها، ويدرك أنها قامت بذلك بسبب اهتمامها بالشركة، إلاّ أن الحقيقة هي أسوأ من ذلك. فعندما تخلت إميلي عنه، شعرت سادي بالأسف عليه. يومها قال لها بخشونة: «ستتزوجين بي، أليس كذلك؟».

وهذا ما فعلته. بحق الجحيم! من المؤكد أنها تزوجت به بسبب الشفقة عليه.

الفكرة بحد ذاتها جعلته ينكمش على نفسه، ويتلوى بانزعاج وقلق.

إنه لا يريد شفقتها أو شفقة سواها مطلقاً. لطالما شعر بالضيق والغضب عندما كان أساتذته يتهامسون متحدثين عن والده، وعن الحياة القاسية التي يحياها. من المؤكد أن حياته لم تكن سهلة مع والدين سيئين، لكنه نجح على الرغم من ذلك.

نظر نحوها، مصمماً على تقوية ذاته أمام جاذبيتها. لكن ما إن رأى ملامحها الوادعة وشعرها المتناثر فوق خدها حتى كاد يفقد سيطرته على نفسه، فأغمض عينيه. سمعها تتحرك، فتأوه بصورة لا إرادية. حركت سادي ذراعها في الهواء فاستقرت عليه. فتح عينيه على الفور، وشعر بأصابعها تلتف حول ذراعه بتملك، باعثة الدفء في كيانه.

إنها أصابع طويلة نحيلة مع أظافر قصيرة أنيقة مرتبة، تماماً كما هي سادي، هذا ما فكر به إلى أن بدأ إبهامها يتلمس كم قميصه...

استدار سبنسر بسرعة بسبب لمستها، ونظر إليها متسائلاً: هل استيقظت سادي؟ هل قرأت ما يفكر به؟ هل علمت كم يحبها؟ لكن أنفاسها لم تتغير، وإنما ظهرت على وجهها ابتسامة تنضح بالجاذبية. بالكاد استطاع سبنسر أن يلتقط أنفاسه، ويبتلع غصة كادت تخنقه.

منذ أربع سنوات، ولمرة وحدة في حياته، تذكر كيف احترق شوقاً بسبب لمسات سادي. أغمض عينيه وحاول ألا يفكر بذلك. كان عليه أن يذهب إلى الطبيب للتأكد من سلامة عقله بعد إصراره عليها كي تأتي برفقته. لكن بدا له حينها أن هذا الأمر منطقي ومناسب جداً، ولا فرق لديه إن رافقته سادي بدلاً من أن ترافقه دينا.

يا لغبائه!

لم تتوقع سادي أن تتمكن من النوم، ومن المؤكد أيضاً أنها لم تتوقع أن تشعر بهذا النشاط كله. شعرت بالفرح عندما استيقظت لتسمع صوت عربة الفطور تتحرك على مسافة قريبة منها. شعرت بالأمل من جديد، كما أحست بأنها طبيعية جداً. تحركت، وتململت في مكانها، ثم استدارت وهي مغمضة العينين تقريباً لكي تلمح سبنسر ولو للحظة.

رأته ممدداً على مقعده، وقد ظهرت لحية خفيفة على ذقنه، كما أنه يبدو منزعجاً، فيما بدا شعره أشعث، وعيناه متعبتين، وهو يحدّق إلى الأوراق في يده. لم تعرف سادي إن كان قد حصل على قسط ولو قليل من النوم. تنهدت، ومددت ذراعيها وهي تفتح عينيها ببطء شديد. لم يرفع سبنسر نظره حتى جلست بشكل مستقيم، وبدأت.. بطي الغطاء.

سألها بصوت خشن: «هل نمت جيداً؟».

قالت: «هذا ما فعلته، في الواقع».

أمسكت بفرشاة من حقيبة يدها، ومررتها في شعرها، ثم بحثت عن أحمر الشفاه ومرآة. عندما انتهت من ترتيب زينتها ورضيت عن النتيجة، نظرت إليه مباشرة وقالت: «هل عملت طوال الرحلة؟».

- هناك الكثير من الأمور التي يتوجب علي الاطلاع عليها. أريد أن أكون مستعداً.

بدا صوته قاسياً وخشناً. حرك كتفيه كأنه يحاول أن يتخلص من التوتر الممسك بهما.

سألته سادي برقة: «ألا تعتقد أنه يجدر بك أخذ قسط من النوم؟ لا بد أن ذلك مفيد لك».

أجابها بضيق: «قلت لك إن لدي عملاً عليَّ إنجازه».

قالت بلطف: «آسفة».

توقفت عن الكلام، ثم فكرت أنها ربما تصرفت ببعض الفظاظة معه في وقت سابق، قالت تؤكد له: «سأقوم بما عليّ القيام به».

نظر إليها مندهشاً: «ماذا؟».

- عندما نصل، سأقوم بدوري. ليس عليك أن تقلق. سأكون.. زوجتك.

حدق بها للحظة طويلة، ورأت شيئاً ما في نظرته. وعلى الفور، شعرت بتيار كهربائي يسري بينهما. قالت لنفسها محذرة: لا تقرأي أي شيء في ذلك. ما ترينه هو من نسج خيالك ومن تأثير عاطفتك

وأحلامك. لا شيء حقيقي فيه.

بعدئذٍ سمعت سبنسر يقول: «حسناً!».

وقف ووضع جهاز الكومبيوتر والملفات جانباً، ثم بحث في حقيبة أوراقه قبل أن يجلس ثانية، وقال: «خذي».

رمى بعلبة صغيرة من المخمل سوداء اللون في حضنها. قفزت سادي كما لو أن العلبة قنبلة يدوية، فقال سبنسر بخشونة: «لن تنفجر. افتحيها!».

لكن سادي لم تستطع، حتى إنها لم تستطع أن تلتقطها. شعرت كأن أنفاسها انحبست داخل صدرها. نظرت إلى العلبة بتوتر، ولم تتفوه بكلمة واحدة.

قال سبنسر بنبرة عصبية: «من الصعب عليك أن تتفهمي الأمر؟ هيا، سادي! لا يمكن أن تكوني عروساً لي بدون خاتم زفاف. ما الذي تنتظرينه؟ أتريدين أن أضعه بنفسي في إصبعك؟».

ساعدتها نبرته القاسية على استعادة صوتها، فقالت: «لا. بالطبع لا!».

فكرت أن ليس عليها أن تتفاجأ. فسبنسر يهتم بكل النواحي لكي يصل إلى هدفه، ولهذا السبب أصيب بهذه الصدمة القوية لأن طلاقهما لم يتم. والآن ها هي تصلي كي لا ترتجف أصابعها وهي تلتقط العلبة وتفتحها بعناية وحذر. قال سبنسر بتوتر: «إنها ليست مفخخة».

- لا... بالطبع لا.

ما إن تلفظت بتلك الكلمات حتى فُتح الغطاء. أخذت تحدق بالعلبة ببساطة من دون أن تتحرك أو تنبس ببنت شفة.

قال سبنسر بعد لحظة بصوت واضح صريح: «ألا يعجبانك؟ إنهما ليسا تقليديين».

لا! وهذا ما يميزهما.

رأت سادي الخاتم الذي اشتراه لإميلي. إنه خاتم جميل كبير، فيه حبة

من الماس تحيط بها حبوب صغيرة من الياقوت. لم تعلم ما الذي فعله بالخاتم بما أن إميلي لم تظهر. الحمد لله، هو لم يقدمه لها على الأقل. كما أنها لمحت خاتم الخطوبة الذي قدمه لدينا. إنه خاتم من الذهب الأبيض ذو ماسة واحدة كبيرة، أنيق ومصقول تماماً مثل المرأة التي تضعه في إصبعها.

قال لها: «فكرت أنني أستطيع تقديم خاتم دينا لك، لكنني لم أجد الأمر...».

قاطعته سادي وهي تلفظ رفضها من أعماق روحها: «لا! لا داعي لذلك. هذا أفضل».

حركت العلبة لتتمكن من رؤيتها بصورة أفضل من خلال الضوء المسلط عليها. رأت خاتمين، أحدهما خاتم خطوبة من الذهب المزركش تتوسطه قطعة نادرة من الحجر الكريم. أما خاتم الزفاف فهو عبارة عن مجموعة من الحجارة الكريمة الصافية المزروعة في المعدن المصقول، لتشكل دائرة من اللون الأخضر والذهب الناري، وهو يبدو أصلياً ومثالياً، مثلها تماماً.

قال سبنسر: «خاتم دينا باهظ الثمن جداً مقابل هذين الخاتمين، لكنه لم يبدُ مناسباً لك، ولم أعتقد أنك ترضين بوضعه في إصبعك».

هزّت سادي رأسها موافقة: «لا! ما كنت لأفعل».

لو أنه أحضر لها خاتم دينا لما تمكنت من وضعه في إصبعها على الإطلاق. لكن كيف عرف سبنسر ذلك؟.

قال يذكرها: «لم أشترِ لك خاتماً في المرة الأولى».

- أعلم. لكنك أعطيتني الخاتم القديم المصنوع من حجر الغليون. ذلك الخاتم الذي كنت تضعه في إصبعك دوماً.

حدّق بها مندهشاً.

- ألا تتذكره؟ ذلك الخاتم الذي كان لجدك.

بدا سبنسر كأنه أصيب بصاعقة: «خاتم جدي؟ اعتقدت أنني أضعته».

هزّت سادي رأسها وقالت: «لا . نزعته من يدك، وقدمته لي. وضعته في إصبعي، وقلت لي إنك سوف تحضر لي خاتماً أفضل منه».

استمر في التحديق بها كأن فأساً قوية أصابته في رأسه، فتابعت: «أأنت حقاً لا تتذكر؟»

هزّ رأسه، وقد بدا مبهوراً.

- حسناً! بعدئذٍ سافرت لمدة شهر . . كما تعلم، وبعد ذلك أعتقد أنني نسيته. كان عليّ إعادته إليك.

في الحقيقة هي لم تنسَ، كما أنها لن تنسى مطلقاً، فقد أحبت ذلك الخاتم. أبقته في سلسلة حول عنقها طيلة ذلك الشهر، وعندما عاد سبنسر وقال لها إن الطلاق أصبح تاماً نزعته من عنقها.

لو أنه سألها عنه لأعادته إليه، لكنه لم يفعل ذلك مطلقاً. وهكذا وضعته في درج قرب سريرها. ولطالما كانت تفتح الدرج قبل أن تنام، فتلمس الخاتم وتفكر بما كان يمكن أن تكون عليه حياتهما لو أنهما بقيا متزوجين. ابتلعت سادي غصة، قبل أن تقول كلمات ما رغبت بقولها مطلقاً: «ما زلت أحتفظ به. بإمكانك استرجاعه إن كنت تريد ذلك».

قال سبنسر بصوت متوتر: «أرغب في ذلك فعلاً. إنه الشيء الوحيد الذي أملكه من جدي. بإمكاننا أن نتبادل إن رغبت بذلك».

وأضاف بسرعة: «إن لم يعجبك هذان الخاتمان، أستطيع أن أشتري لك غيرهما. فكرت فقط . . .».

قاطعته بحماس: «بل أعجباني، فهما جميلان . . حقاً! قد يبدو الأمر وكأنني أستعمل كلمة يبالغ الناس في استعمالها، لكنني فعلاً أجدهما مثاليين».

وفيما هي تتحدث مدّت إصبعها ولمست الخاتمين بشيء من التبجيل. فشعرت بالدموع تملأ عينيها.

- يا إلهي! أنت لن تبكي الآن.

كلامه هذا جعلها ترمش بعينيها بسرعة. وبالسرعة نفسها تنفست

بعمق وقالت: «لا، بالطبع! أنا فقط أفكر أنهما رائعان. شكراً لك».

قال بخشونة: «حسناً! إذاً، ألن تضعيهما في إصبعك؟».

أخذت سادي خاتم الزفاف من العلبة، وأدخلته في إصبعها. فناسب إصبعها بشكل مثالي.

قال لها فجأة: «إنه بلون عينيك».

فوجئت سادي بملاحظته تلك، فقد عرفته طوال حياتها، لكنها لم تتخيل مطلقاً أنه يعرف ما هو لون عينيها. وجهت نظرات عينيها إليه، ورأت توهجاً واضحاً قد علا خديه.

تابع قائلاً: «إنهما يشبهان تلك البركة في الغابة في كتاب الأطفال. ذلك الكتاب الذي جعلتني أقرؤه لك عندما كنت صغيرة. . . أعني. . . تلك القصة الخيالية الفائقة الجمال».

بينما كان يتكلم ازدادت بشرته توهجاً واحمراراً، وبدا محرجاً جداً.

- أتذكر ذلك.

عندما كان سبنسر في الصف الخامس طلبت منه أن يقرأ لها قصة خيالية، وهو ما زال يذكر صورة لبركة سحرية في تلك القصة. كان داني يفضل الموت على قراءة قصة لها، لكن سبنسر لم تكن لديه شقيقة صغيرة تلاحقه طوال النهار، وهكذا بدا مستعداً لتدليلها. أما الآن فهو لم يدرك أنه حتى لو لم يكن يملك قلبها سلفاً فقد ربحه الآن عندما أخبرها أن تلك البركة في الغابة هي من لون عينيها. تذكرت سادي الآن أنها أصيبت بالدهشة حين أخبرها بذلك في ما مضى، فسألته: «أحقاً؟ أتقصد البركة السحرية؟ هل عيناي سحريتان؟».

قال لها يومها: «بالطبع!».

ابتسمت سادي، وشعرت بالسعادة فجأة. أمسكت الخاتم الثاني، وللحظة شعرت بالرغبة في أن تطلب منه أن يضعه في إصبعها. لكنه تقرب منها أكثر مما اعتقدت أنه سيفعل، ولن يجديها نفعاً أن تبالغ في التودد إليه. وهكذا وضعته في إصبعها بنفسها. هذا الخاتم أيضاً ناسب إصبعها

بشكل مثالي.

رفعت نظراتها إليه، وقالت: «شكراً لك. إنهما جميلان».

قال بصوت هادىء: «يسعدني أنك أعجبت بهما. بإمكانك الاحتفاظ بهما بعد الانتهاء. . . وأقصد ذلك حقاً».

- بعد ماذا؟

- بعد انتهاء الأسبوع.

تجمدت الابتسامة على شفتيها، فيما تابع قائلاً: «لا أريد استرجاعهما. إنهما لك».

لم تعد سادي تعرف بماذا ستفكر! أما سبنسر فقد تركت في نفسه تأثيراً كبيراً.

لم يفهم لماذا أصبحت ودودة معه، ثم انقلبت فجأة إلى برودة متجمدة. لكن ما أثر به بالتحديد هو إدراكه أنها تملك خاتم جده الحجري، وأنه هو من قدمه لها ليلة زفافهما.

هذا الأمر يبرهن كم كان ضائعاً، فهولا يستطيع أن يتخيل أنه قدر على إعطاء ذلك الخاتم لأي كان. إنه خاتم كبير، بشع ومصنوع يدوياً. صنعه والد جده من حجر غليون وجده عندما أتى للمرة الأولى إلى موتنانا ليعمل في المناجم. وهو عبارة عن حجر أحمر اللون زُرع فيه حبة من اللؤلؤ على شكل قلب كبير.

أخبره جده عندما كان صغيراً: «أخبرني أبي أنه كان ينوي تقديم هذا القلب لأمي عندما تأتي إلى هنا».

احتاج العامل الشاب إلى ثلاث سنوات ليدخر المال الكافي لإحضار عائلته التي تركها وراءه في كورنوول. وفي صباح ذلك اليوم من أيام الصيف لم ينزل من القطار في بوت سوى طفلان، صبي وفتاة بالكاد عرفهما، أما زوجته فتوفيت خلال الرحلة.

تابع جده: «وهكذا وضع الخاتم في إصبعه طيلة حياته».

بقي حجر الغليون الأحمر مع قلب اللؤلؤ في إصبعه حتى يوم وفاته،

مع أن قلب اللؤلؤ قد تفسخ وفقدت قطعة منه.

أما جده فاحتفظ به في إصبعه أيضاً قائلاً إنه ذكرى من والديه.

وعندما توفي أصبح الخاتم لوالد سبنسر الذي لم يضعه في إصبعه مطلقاً، وكان يقول دائماً: إنه لا يحب الخواتم. وهكذا اعتاد سبنسر على رؤية ذلك الخاتم في صحن صغير على سطح الخزانة الصغيرة، فكان يضعه في إصبعه عندما يكون وحده في المنزل. وأخيراً غادر والده المنزل لكن الخاتم بقي. واعتاد سبنسر على وضعه في إصبعه في الكثير من الأوقات، فقد أصبحت يداه أكبر حجماً، ولم يعد الخاتم فضفاضاً في إصبعه.

وفي أحد الأيام، عندما أصبح في الخامسة عشرة من عمره، اختفى الخاتم، تماماً كما فعل والده.

وعندما سأل أمه عنه قالت: «تخلصت منه، فهو خاتم قديم بشع، لا سيما مع ذلك القلب المشوه».

هزّت رأسها باستغراب وتابعت: «إنه نذير شؤم وحظ سيء».

سألها سبنسر بيأس وغضب: «لمن أعطيته؟».

قالت أمه: «أخذت كل أغراض والدك إلى متجر للخرضوات في هالينا، والحمد لله!».

لم يهتم سبنسر لأي شيء آخر، فهو يريد الخاتم فقط. باعته السيدة في متجر الخرضوات الخاتم، وقالت له عندما أصر على شرائه: «إنه فعلاً لا يساوي أي مبلغ قيم من المال».

أجابها سبنسر: «لكنه لي».

إنه الشيء الوحيد الذي يربطه بذكريات عائلة جيدة. والشيء الوحيد الذي يربطه بجده، وقد قدمه لسادي في الليلة التي تزوجت به. . . ما الذي كان يفكر به بحق السماء؟

هذه اللحظة ارتطمت الطائرة بالأرض، وانطلقت عبر المدرج، وما إن بدأت تخفف من سرعتها وتستدير لتتوجه إلى حيث ستقف، تنفست سادي بعمق وقالت؛ «أكل شيء بخير؟».

هزّ سبنسر رأسه. وتمنى من الله أن يكون كل شيء بخير، فهو ما زال يشعر بالاضطراب.

بعد ذلك نهض الجميع وبدأوا بالحركة.

قالت سادي ما إن اتجها نحو الباب: «خذ!».

شعر بها تضغط بشيء ما في راحة يده وهي تتابع: «ستحتاج إلى هذا».

- ما هذا؟

لكنه أدرك الجواب حتى وهو يسأل؛ إنه خاتم للزفاف.

أطبقت أصابعه بصورة لا شعورية حوله، فحفر حده في راحة يده. صحيح أنه قدم الخاتمين لسادي عربوناً عن تقديره لها، لكنه لم يتوقع مطلقاً أن تقدم له خاتماً بالمقابل.

عندما توقف على الجسر بين الطائرة والدرج ليحدق به، قاطعاً الطريق على بقية المسافرين الذين حاولوا الاستدارة من حولهما قالت سادي: «إنه خاتم من الذهب الوردي، وفيه القليل من النحاس. هو ليس خاتماً باهظ الثمن، لكنني اعتقدت أنك ربما ترغب في وضعه في إصبعك لتقنع ليوني والآخرين».

لم يكن سبنسر ينوي وضع خاتم في إصبعه لو أنه تزوج من دينا، أما الآن فهزّ رأسه وقال: «فكرة جيدة!».

ستراه ليوني، وتعلم أنه مرتبط فعلاً. وسيراه إيزوغاوا ويفهم أنه وسادي زوجان سعيدان. وهذا أمر منطقي جداً. وضع الخاتم بسرعة في إصبعه، وشعر فجأة أنه متزوج.

فكّر سبنسر أنه لم يستعجل ذلك الإحساس، فما إن غادرا نقطة الجمارك واتجها نحو قسم المغادرة، حتى وجدا الجميع هناك. ستيف والكر وزوجته كاتي كذلك جون وماريون تن أيك، وهم من نيوزيلندا، وقد وصلوا إلى الجزيرة في الليلة السابقة. كما أن ريتشارد ليوين هنا أيضاً. انغمس النيوزيلنديون الأربعة بالتحدث مع بعضهم، أما

ريتشارد، فكالعادة، بدا منشغلاً بالعمل على جهاز الكمبيوتر النقال. ما إن رفعت ليوني نظرها عن مجلة كانت تتفحصها حتى رأتهما قادمين، هتفت من الفرح.

- سبنسر! عزيزي!

قفزت من مقعدها وأسرعت نحوه وهي تفتح ذراعيها على اتساعهما.

استجمع سبنسر قوته للتصدي لهذا الهجوم. بدا جاهزاً للامساك بها على مسافة ذراع منه، عندما أمسكت أصابع أخرى بيده فجأة. وقفت سادي قربه وقالت له بصوت ناعم مثير: «ألن تقدمنا إلى بعضنا، عزيزي؟».

فتح سبنسر فمه، ولم يستطع التفوه بأية كلمة. إلا أن ذلك لم يؤثر على مجرى الأمور، إذ تابعت سادي مباشرة: «آه! عرفتك من صوتك».

ابتسمت لليوني التي رأت يد سادي في يده كما يبدو، فتوقفت قبل أن ترمي بنفسها بين ذراعي سبنسر.

- لا بد أنك ليوني! أنا سادي.

وما إن تفادت العناق الذي كان موجهاً له حتى ضمت ليوني بحماس، كأنها صديقة قديمة عزيزة لها. تلعثمت ليوني، وتراجعت خطوة إلى الوراء لتنظر إلى سادي من رأسها حتى أخمص قدميها: «سا... سادي؟ هل أنت سادي؟ من أنت بالنسبة لسبنسر...؟

- زوجته!

أكد لها سبنسر بنعومة، بعد أن أصبح جاهزاً لتحمل مسؤولياته الآن: «سادي زوجتي».

تابع قائلاً لليوني وهو يضع ذراعه حول خصر سادي: «ويمكنك أن تكوني أول من يهنئنا».

الصدمة... الارتباك... الذعر... الكثير من التعابير غير الواضحة جالت على وجه ليوني.

- لكن سادي... تعمل لديك.

جالت ليوني بعينيها الزرقاوين الواسعتين على سادي التي تحملت النظرة الفاحصة الثاقبة من دون أن تشعر بأي توتر.

- إنها كذلك. إنها تعمل لدي منذ سنين.

قالت سادي لها بنبرة مليئة بالسعادة والفرح: «قصتنا كأي قصة رومنسية رائعة، لا شك أنك تعرفين تلك القصص. السنوات تمر، وأخيراً يفتح الرئيس عينيه ويرى أن المرأة التي تلازمه في عمله هي المرأة الوحيدة التي يحلم بها».

ازداد اتساع عيني ليوني، وظهر فيهما بعض الشك، لكن كل ما استطاعت القيام به هو الابتسام بحزن.

- آه! تهانيّ لكما.

ثم نظرت إلى سبنسر نظرة اتهامية وتابعت: «لم تتفوه بأية كلمة من قبل، ولا حتى أية إشارة... ريتشارد!».

استدارت لتتمكن من مخاطبة زوجها: «أتعلم من أحضر سبنسر معه؟».

قال ريتشارد بدون أي اهتمام، ومن دون أن يرفع رأسه: «عقوداً جديدة، على ما آمل».

قالت ليوني بفقدان صبر: «بالطبع فعل ذلك عزيزي، لكنه أحضر أيضاً زوجة!».

رفع ريتشارد رأسه على الفور: «زوجة؟ طباك لديه زوجة؟».

وضع الكمبيوتر جانباً، وسار نحوهم على الفور وهو ينظر إلى سادي باهتمام. ومن ملامح التقدير التي بدت على وجهه، فكر سبنسر بانزعاج أنه يبدو معجباً بما رأى. صافح ريتشارد سادي وعانقها مهنئاً، ثم ابتسم لها وقال: «تزوجتِ بالرئيس، أليس كذلك؟ فتاة ذكية، وجميلة أيضاً».

ثم استدار محدثاً سبنسر: «أنت محظوظ يا صديقي، كما أنك لست غبياً أيضاً، فهذه الفتاة هي من تمسك الأعمال في المكتب الرئيسي، أليس كذلك؟».

قال سبنسر بصوت حازم: «إنها ماهرة جداً في العمل».

تساءل لماذا لا يزال ريتشارد ممسكاً بيد سادي، وقطب جبينه على الفور.

ابتسمت سادي، ثم سحبت يدها بنعومة، ووضعتها على ذراع سبنسر. قالت محدثة الرجل الآخر: «أحاول أن أجعله مقتنعاً بذلك بشكل دائم».

ضحك ريتشارد ثم قال: «إنا متأكد من أنك قادرة على القيام بذلك».

حكّ يديه ببعضهما وتابع: «يسعدني أن لدينا أسبوعاً لنمضيه هنا في الجزيرة، وهذه فكرة رائعة من إيزوغاوا. ستعطينا الكثير من الوقت لنتعرف على بعضنا البعض بشكل أفضل».

حدّق سبنسر به غير مصدق. هل يحاول كارستيرز التقرب من سادي؟

أجابت سادي ببساطة: «أنا متأكدة من أننا سنحظى بالكثير من الفرص لزيارة بعضنا».

وما إن رأت عائلتي تن إيك ووالكر تقتربان ابتسمت لليوني، وتابعت: «إنني أتطلع للقائكما ولقاء كل شخص هنا».

قام سبنسر بتعريفها عليهم، لكن تبين له أن سادي تعرفهم جميعاً من قبل.

قالت: «بالطبع أعرفهم، فأنا من قمت بالحجز للجميع. كما أنني تحدثت مع ماريون وكاتي عبر الهاتف. كاتي تجيد الحياكة وماريون رسامة. إنها تقوم حالياً برسم جداريات مثل مارتا، وفي المرة القادمة عندما تذهب مارتا وزوجها ثيو إلى نيوزيلندا، سيذهبان لزيارة ماريون وجون.»

- هل سيفعلان؟

وقف سبنسر مكانه، وبطريقة ما بدا مندهشاً ومتأملاً، بينما راحت زوجته تتحدث مع كل شخص بمفرده، وكأنها تعرفهم منذ سنوات.

٦ - أسبوع في الجنة

وقف السيد إيزوغاوا على الرصيف بانتظار هبوط الطائرة البحرية. إنه رجل أنيق، ممتلىء بالنشاط، في أواخر الستينيات من عمره. شعره رمادي، ولديه شارب صغير. بدا تماماً كما تصوره سبنسر: شخصاً حازماً، لطيف الكلام، ورجلاً لديه الكثير من المعايير.

انحنى وسلم بحرارة على سبنسر، وقبل أن يتمكن هذا الأخير من تقديم الآخرين له، قال: «هيا! سنذهب إلى المنتجع وسأعرفكم على زوجتي. يسعدني أنكم جميعاً هنا. نانومي هي المكان المناسب للعائلات».

انحنى مرة أخرى، ثم وجه أوامره إلى جيش صغير من العمال الصامتين المبتسمين ليحملوا حقائبهم إلى الأجنحة المختلفة، ثم استدار وقاد الجميع على طريق خشبية نحو باحة سقفها مغطى بالقش.

ما إن رأى المكان على بعد مسافة، حتى استدار ونظر إلى عيني سادي، وكأنه يسألها: «أرأيت؟».

ابتسمت سادي له بنعومة، وبالكاد هزت رأسها كأنها تشاطره رأيه بروعة المكان وجماله. وصلوا إلى المنتجع الذي يعلو عن سطح الماء، والمبني من الخشب والزجاج، أما سقفه فمصنوع من القش، وهو يطل على الخليج على شكل هلال. رأى سبنسر صوراً للمبنى بالطبع، لكن النظر إليه عن كثب أمر أشد تأثيراً من الصور. ليس فقط بسبب بنائه الجميل، بل بسبب التناسق والانسجام مع كل ما يحيط به من تلك المناظر الطبيعية الرائعة الجمال.

بدت سادي مبهورة بجمال الجزيرة، وبالمنتجع الذي يدخلونه. دخلوا

إلى غرفة عالية السقف، إحدى جهاتها مصنوعة من الزجاج الذي يفتح لإدخال الهواء المنعش القادم من الخليج، أما الجهة المقابلة فهي مصنوعة من خشب البامبو. وقد وضعت فيها طاولات وعدد من الكراسي والمقاعد الطويلة، وكلها مغطاة بأقمشة مشرقة الألوان.

أشار السيد إيزوغاوا نحو تلك المقاعد وقال: «سنجلس هنا. والآن، سبنسر، بإمكانك أن تعرفنا على بعضنا».

قام سبنسر بتعريفه على الجميع. ابتسم إيزوغاوا وانحنى للجميع الانحناءة نفسها. صافح جميع الرجال وزوجاتهم. وأخيراً أمسك سبنسر يد سادي وجذبها إلى الأمام.

- أود أن أعرفك على زوجتي، سيد إيزوغاوا. هذه سادي.

- سادي؟

فجأة اختفى الطابع الرسمي الذي ميز السيد إيزوغاوا. حدّق أولاً بسبنسر، ثم حوّل نظرته على نحو مفاجىء إلى سادي.

- أهذه سادي؟ أنت تزوجت من سادي التي أعرفها؟

- سادي التي تعرفها؟!

جاء دور سبنسر الآن ليحدق بالسيد إيزوغاوا الذي مدّ يده وربت على ذراع سادي التي استدارت ونظرت إلى وجهه. ابتسمت سادي ابتسامة عريضة لكن بخجل، وهزت رأسها قائلة: «نعم، هذا صحيح. إنه متزوج بي».

في تلك اللحظة صفق السيد إيزوغاوا بفرح، ثم ابتسم ابتسامة عريضة وانحنى أمامها انحناءة أعمق من انحنائه لأي شخص آخر، بعدئذٍ أمسك بيدي سادي الاثنتين بيديه، وبدأ يتحدث معها بسرعة.

باللغة اليابانية. . .

بدأ سبنسر بالقول: «سادي لا تتحدث. . .».

لكنه مخطىء! فسادي بدأت تتحدث معه باليابانية أيضاً.

سألها: «منذ متى تتحدثين اللغة اليابانية؟».

أنهت ما أرادت قوله للسيد إيزوغاوا قبل أن تستدير وتقول له وهي ترفع كتفيها بخفة: «هل تتذكر طامي ناكامورا، شريكتي في الغرفة عندما كنت في يو. سي. آل. أي؟».

- لا.

أكثر ما يتذكره سبنسر بشأن سادي وجامعتها، هو أن تلك السنوات الأربع كانت قاسية عليه أثناء غيابها. ما يتذكره أيضاً ذهابه إلى حفلة تخرجها، وجذبها من جديد إلى بوت.

- طامي هي من أصل أميركي - ياباني. لكن والدها أصر على أن يتعلم جميع أولاده اللغة اليابانية. طلبت منها أن تعلمني لغتها، وعندما بدأت بالعمل مع السيد إيزوغاوا، تحدثت إليه بلغته.

ابتسمت وهي تتابع: «هو يعتقد أنني ذكية جداً».

هزّ السيد إيزوغاوا رأسه موافقاً، وقال: «سادي ذكية جداً، وتعمل كثيراً، كما أنها جميلة جداً أيضاً».

لاحظ سبنسر أن الرجل ما زال ممسكاً بيدي سادي.

ما قصة الرجال ويدي سادي؟

في تلك اللحظة قال السيد إيزوغاوا كلاماً لها باللغة اليابانية، فاحمرت خجلاً، ورفعت يدها اليسرى إليه لينظر إليها. شعر سبنسر بوخز بين عظام كتفيه عندما رفع السيد إيزوغاوا إصبعها لينعم النظر إلى الخاتمين بصمت. فهما مجرد خاتمين من الحجارة الكريمة البسيطة من صنع يدوي، وليسا خاتمين باهظي الثمن أو حتى فائقي الجمال..

تمنى سبنسر فجأة لو أنه احتفظ بالخاتم الماسي من ماركة تيفاني، وأصر عليها أن تضعه في إصبعها. فدينا تعرف أهمية المظاهر، أما هو فتخلى عن دقته في العمل لأنه يعرف سادي وما تميل إليه.

بعدئذٍ ابتسم السيد إيزوغاوا، وبدت تلك الابتسامة مختلفة جداً عن سابقاتها، إذ وصلت إلى عينيه.

ثم أدار نظره نحو سبنسر قائلاً: «أرى أنك تجيد الاختيار».

ولم يعتقد سبنسر أنه يتكلم عن الخاتمين مطلقاً.

شعر فجأة بتوهج في وجهه، وقال: «هذا ما أعتقده... ويسعدني أنك توافقني الرأي».

هزّ السيد إيزوغاوا رأسه وهو لا يزال يبتسم، ثم استدار وأشار لامرأة تقف في الظل في الجانب البعيد من الغرفة الواسعة. بدت المرأة في مثل سنه أيضاً. صغيرة القامة جداً وجميلة، وهي ترتدي ساورنغ من الحرير يعكس لونه كل الألوان الموجودة في البحر.

قال السيد إيزوغاوا: «زوجتي، طوشيكو».

عرفها على كل شخص بمفرده، وعندما وصل إلى سادي، التمعت عينا المرأة، وهذا ما حصل لعيني سادي أيضاً. انحنت المرأتان لبعضهما، وابتسمتا، وبعد ذلك أمسكت كل منهما يد الأخرى وأخذتا بالتحدث كأنهما صديقتان قديمتان.

تمتم سبنسر: «أعتقد أنك قابلت السيدة إيزوغاوا أيضاً».

ضحكت سادي وقالت: «نوعاً ما. التقينا عبر الهاتف، وهي تتعلم اللغة الإنكليزية. عندما أخبرني السيد إيزوغاوا بذلك، عرضت المساعدة، ونحن نتمرن معاً. أليس كذلك؟».

كانت تتحدث ببطء لتتمكن المرأة الأخرى من فهم ما تقوله. قالت السيدة إيزوغاوا بصوت ناعم، لكن بلهجة واضحة وحميمة: «سادي معلمة ماهرة، وهي أيضاً ذكية جداً».

- هذا ما أراه.

قالت سادي: «سنتابع التمارين أثناء وجودي هنا».

فهزّت السيدة إيزوغاوا رأسها بفرح.

عندئذ بدأ السيد إيزوغاوا بالتحدث مع زوجته بلهجة سريعة بلغة بلادهما، فاتسعت عيناها، ونقلت نظرها ما بين سبنسر وسادي، ثم نظرت إلى الخاتمين اللذين تضعهما سادي.

- هل أنتما متزوجان؟

قالت سادي موافقة: «نعم. نحن متزوجان».

علقت ليوني: «وعروسان منذ عهد قريب، كم هذا رائع!».

أعلن السيد إيزوغاوا بسعادة: «وهما في شهر العسل».

سرعان ما نادى أحد الخدم ليحضر الشراب، في غضون ثوانٍ وصل الخادم وهو يحمل صينية عليها أكواب ملأى بمختلف أنواع الشراب، فأعطى كل شخص من الحاضرين كوباً.

قال السيد إيزوغاوا: «والآن سنشرب نخب سعادتكما».

رفع كوبه، وتحدث أولاً باللغة اليابانية ثم بالإنكليزية. لم يكن لدى سبنسر أية فكرة عما قاله باللغة اليابانية، لكنه تمنى لهما حياة مديدة مليئة بالثراء والسعادة والعديد من الأطفال عندما تحدث باللغة الإنكليزية.

سمع السيدة إيزوغاوا تردد: «العديد العديد من الأطفال».

ثم ابتسمت إلى سادي، وضحكت بصوت عالٍ، فتورد وجه سادي بشدة.

وافقتها ليوني بصوت مبالغ به من الرقة: «العديد العديد العديد من الأطفال. ألا تحب الأطفال الصغار سبنسر؟».

بدت سادي وكأنها ترغب في الاختفاء تحت الأرض.

قال ريتشارد بضيق: «أنت تحرجين الفتاة. لنشرب نخب سبنسر وسادي. تهانينا، وأفضل التمنيات لكما».

لحسن الحظ، ما إن شرب الجميع حتى تبدل موضوع الحديث. سألت سادي عن المنتجع، فبدأ السيد إيزوغاوا بالتحدث عن الفكرة العامة للمشروع وعن المفروشات وعن الفنانين المحليين الذين يعرضون أعمالهم في المنتجع وأخبرهم أن الأقمشة والأخشاب التي صنعت منها المفروشات كلها إنتاج محلي.

تابع قائلاً: «نحاول دائماً أن نقدم لضيوفنا أجمل ما في هذا العالم. ولا نسمح باستعمال الصناعة الأجنبية إلا نادراً. نحن نصنع جنة من الجمال، كما تقولون».

نظر إلى سادي كأنه يريد تأكيداً منها على أنه قال الكلمات الصحيحة، فوافقته سادي على الفور وهي تمرر يدها فوق ظهر أحد المقاعد الواسعة: «بالطبع، هذا ما تفعله».

- الأجنحة التي ستمكثون فيها هي الأكثر جمالاً، وسترون ذلك بأنفسكم.

ثم استدار نحو سبنسر وأكمل: «لم تعلم أنك ستحضر برفقتك زوجة جديدة. وهذا أمر مميز حقاً».

أكد سبنسر له: «يناسبنا أي شيء، فأنا وسادي لا نهتم لذلك».

- لكنني أهتم. طوشيكو وأنا انتقلنا إلى جناح العرسان لأنه صغير وحميم، وهو مخصص لشخصين فقط. لم نكن نعلم أننا سنستقبل عروسين حقيقيين. والآن سنبدل إقامتنا.

بدأ سبنسر بالقول: «لا نريد...».

وعلقت سادي بسرعة: «ليس من الضروري...».

رفع السيد إيزوغاوا يده ليصمتا معاً، وقال: «بل هو أكثر من ضروري شنكون - سان ني، تيكيشيني إيماسو».

رمش سبنسر بعينيه، ثم نظر إلى سادي ليرى إن كانت قد فهمت ما قاله، فترجمت له سادي بهدوء: «هو يريدنا أن نقيم هناك لأنه المكان المناسب للعروسين».

اعترض سبنسر: «لكننا هنا من أجل العمل. أتينا إلى هنا لنصل إلى تفاهم بشأن المنتجع».

سأل السيد إيزوغاوا ببساطة: «لكن ما الهدف من بناء المنتجع في النهاية؟».

هزّ سبنسر رأسه وقد شعر بالارتباك، وسأله: «ما هو؟».

- الغاية من وجود المنتجع هي استقبال العائلات، وتمتين الروابط في ما بينها.

وتابع السيد إيزوغاوا مفسراً للجميع: «لا شك أن العمل هام جداً،

لكنه مجرد جزء من حياتنا، وهو الجزء الأقل أهمية. هل تفهم؟».

بدا كأن عينيه السوداوين تخترقان عيني سبنسر لتصلا أعماق روحه.

لا تملك عائلة سبنسر أية فكرة عن الروابط العائلية والخاتم الذي قدمه لسادي هو النموذج الوحيد الذي يمتلكه عن تلك الروابط. إنه إشارة تدل على حب جده الأكبر لجدته، وهو حب لم يقضِ عليه الموت. لكن والده تجاهل الخاتم، وتركه مرمياً في صحن صغير فوق الخزانة. وأمه تخلصت منه كما تخلصت من كل ما يذكرها بوالده.

قال سبنسر: «حسناً! لكننا هنا من أجل العمل».

انحنى السيد إيزوغاوا، وقال: «سنتحدث عن الأعمال في وقت لاحق. أما الآن، فتمتع بوقتك مع زوجتك الجميلة».

* * *

وقفت سادي عند الباب المفتوح، ونظرت حولها بانبهار. كل الأكواخ الأخرى التي مرت بها، والتي تتألف من طابق واحد، بدت جميلة جداً. لكن هذا الكوخ مميز من الداخل والخارج، فهو يثير الاعجاب والدهشة لشدة جماله وروعته. بني هذا الكوخ داخل شجرة، كأنه عرزال معلّق في الفضاء. لكن ذلك لا يعني أنه صنع بطريقة خرقاء، بل تم بناؤه بعناية فائقة حتى بدا كأنه يتدفق من بين الأغصان، بل كأن الغرفة محفورة في الشجرة وليست مبنية عليها. قال السيد إيزوغاوا معتذراً: «هذا ليس مكاناً تقليدياً، لكننا نعتقد أنه جميل».

كلمة جميل لا تصف ذلك المكان بدقة، فهو أكثر جمالاً مما يمكن للمرء أن يتخيل. يستقر الكوخ في شجرة كبيرة وواسعة تبعد عن الشاطىء حوالى الخمسة عشر متراً. من جهته الأمامية تظهر الشرفة وقد وضعت عليها أرجوحة، أما أرضه فمرصوفة بالخشب المغطى بحصير من القش.

حولت نظرها إلى حجرة الاستحمام حيث يتساقط شلال من الماء بصورة مستمرة. فلاحظت أن جدرانها الخارجية مصنوعة من البامبو لتبقى بعيدة عن أنظار من يرتادون الشاطىء. إنه مكان مميز وأنيق جداً،

تأملت القماش الرائع المصنوع من لحاء الشجر، والطاولة والمقاعد الموضوعة تحت النافذة إلى جانب كرسيين من الخشب الكوري، منجدين بألوان زاهية. كل شيء بدا رائع الجمال، لكنه يتميز بجو عائلي بسيط في الوقت نفسه، هو يفوق أي شيء تخيلته في حياتها كلها.

قالت بصوت مليء بالابتهاج: «ما رأيك؟ أليس رائعاً؟».

لم يتفوه سبنسر بأية كلمة منذ أن غادرا الجناح الرئيسي.

أما الآن، فقال بشكل مفاجىء: «علينا أن نتشارك السرير. لا أستطيع النوم على الأرجوحة».

وأومأ برأسه نحو الأرجوحة المعلقة على الشرفة خارج الباب.

- أعرف ذلك.

- سيلاحظ إيزوغاوا ذلك، أو ربما أحد العمال هنا. لا نستطيع المخاطرة.

- أعرف ذلك.

بدا كأنه لم يسمع ما قالته. ضغط على أصابعه بقوة، وأخذ يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً.

- كل الأكواخ الأخرى يحتوي كل منها على سريرين.

قالت سادي: «لا تقلق بشأن ذلك. سأبقى على الجانب الخاص بي. ولن أحاول إغواءك».

توقف عن السير وكأنه أصيب بمس كهربائي: «ماذا؟».

- أعدك أنني لن أهاجمك!

قال بخشونة: «ليس هذا ما قصدته. وعدتك أن يكون هناك سريران».

فكرت سادي، كما وعدتني بأن تحبني، وتكرمني وتدللني حتى آخر يوم في حياتنا، أليس كذلك؟ لكنها لم تقل له ذلك.

- كنت هناك طوال الوقت. كدت أرى الأفكار التي تدور في رأس السيد إيزوغاوا. بدا مصمماً على أن يجعل هذه الرحلة مميزة لنا.

- ألا يزعجك ذلك؟

قالت تؤكد له: «سأستمر في الحياة. ألن تفعل ذلك؟».

- بالطبع. ستجري الأمور على ما يرام.

لكن حتى وهو يتكلم، ابتعد قدر ما يستطيع عن السرير، وكأنه مصمم على وضع أكبر مسافة ممكنة بينهما.

حاولت سادي ألا تلاحظ الأمر، وبإبهامها أدارت الخاتمين في إصبعها. هذان الخاتمان برهنا لها بطريقة ما أن سبنسر يفهمها، ويهتم بها. والآن، هذا الكوخ... حسناً! ستأخذ الأمر وكأن هناك قدرة سماوية، بجانب عائلة إيزوغاوا، تريد أن تجمعهما حقاً هي وسبنسر.

خلعت حذاءها ومررت أصابع قدميها بفرح على الأرض الخشبية الباردة، ثم قالت مقترحة: «ما رأيك بالسباحة الآن؟».

نظر سبنسر إلى السرير وقال بسرعة: «السباحة فكرة رائعة. اذهبي وبدلي ثيابك. وأنا... آه... تباً! تركت حقيبة أوراقي في ردهة الاستقبال. سأذهب إلى هناك وأحضرها».

- احرص على عدم البقاء هناك لكي تعمل.

- لا، لن أفعل.

ثم استدار، مبتعداً.

راقبته سادي حتى اختفى بين أشجار النخيل، ثم ارتمت بنفسها على السرير وتنهدت.

أحياناً تجد سبنسر طياك غبياً جداً، لدرجة أنه لا يستحق الحياة. وقبل أن ينتهي هذا الأسبوع، من المحتمل أن تقتله بنفسها.

مع ذلك ابتسمت سادي. ما دام قد أحضرها إلى الجنة معه، من الأفضل لها أن تسبح أولاً.

سبحت سادي، وانضم إليها جون وماريون. وجدوا المياه دافئة ومنعشة كأنها ترحب بهم. لم يكن هناك أي أثر للأمواج، وكأنهم في حوض كبير للاستحمام فيروزي اللون صاف، يحبس الأنفاس من شدة

جماله. لكن سبنسر لم يأتِ أبداً.

علّقت ماريون: «لا بد أنه يعمل».

تساءلت سادي، أهو كذلك أم أنه ببساطة يتجنب رؤيتها؟ سبحت واستلقت على الرمال لفترة تزيد عن الساعة، ولم يظهر سبنسر.

قال جون: «من المحتمل أن ريتشارد أمسك به وحجزه في مكان ما، وهما يخططان للقيام بمشاريع لعشر سنوات مقبلة، فهو مغرم بالعمل أكثر من سبنسر».

ريتشارد؟ أم أن ليوني هاجمته وهو في طريقه إلى المسبح؟ فجأة شعرت سادي أن من الأفضل لها أن تذهب وتتأكد بنفسها. قالت: «سأذهب وألقي نظرة».

اقترحت ماريون عليها: «اذهبي، وامسكي به من أذنه، واحضره إلى هنا».

ابتسم جون وغمزها قائلاً: «أو جدي شيئاً أفضل تفعلينه».

توهج وجه سادي، لكنها ابتسمت وعلّقت: «حسناً! ربما هذا ما سأفعله».

لوحت بيدها مودعة، بعد أن لفت جسمها بالمنشفة، وسارت عبر الممر الخشبي نحو الكوخ المبني في الشجرة. عندما وصلت إلى الدرج رأت الباب مفتوحاً.

يبدو أن سبنسر يعمل أو أنه يتجنب رؤيتها.

- سبنسر؟ إذا اكتشف السيد إيزوغاوا أنك تعمل هنا...

توقفت عن الكلام.

لم يكن سبنسر يعمل، بل وجدته مستغرقاً في النوم.

بدا لها بوضوح أنه رغب في الذهاب إلى الشاطىء، لأن سرواله الأسود القصير ملقى على السرير بجانبه، وقد نزع حذاءه وفك أزرار قميصه.

قالت بهدوء هذه المرة: «سبنسر؟».

لم يظهر سبنسر أية استجابة، ولم يرمش له جفن. ليس عليها أن تستغرب ما يحدث، فقد أمضت الرحلة كلها وهي نائمة، بينما أمضى هو ذلك الوقت وهو يعمل. وقبل هذه الرحلة، سافر إلى لوس أنجلس من نيويورك، وهذه رحلة أطول من رحلتها، فلا عجب أنه مرهق.

يبدو سبنسر النائم مختلفاً عن الرجل الذي تعرفه وهو مستيقظ. تخلى عنه النشاط المفرط الذي يميز كل حركاته. حتى إن فمه بدا أكثر رقة وكذلك ما تبقى من ملامح وجهه، فقد بدت كلها أكثر لطافة ورقة. ظلال ذقنه ازدادت نمواً فأصبحت أكثر خشونة وسواداً. شعرت برغبة قوية لتمد يدها وتمسح خده الآن، لكنها لم تفعل. لا تستطيع أن تسمح لنفسها بذلك. فهذا الأسبوع مليء بالإثارة والتوتر بما فيه الكفاية، وهي ليست بحاجة إلى زيدة أسباب التوتر.

كل ما استطاعت القيام به هو أن تضم ذراعيها بشدة إلى صدرها لتمنع نفسها من الاقتراب منه.

سمعت مارتا تهمس في ذهنها: هيا! اذهبي إليه، ما الذي تنتظرينه؟ لكن على الرغم من رغبتها الشديدة في أن تضع ذراعيها حوله، لم تستطع سادي أن تفعل ذلك. يجب أن يرغب هو بها، وأن يريدها.

بدأت بالتحرك مبتعدة، لكنها لم تستطع أن تفعل ذلك بشكل نهائي. ليس قبل أن تمد يدها إليه وتلامس بنعومة شعره الأسود الأشعث للحظة واحدة.

همست: «أحبك».

إنها الحقيقة، حتى لو كانت تلك الحقيقة مؤلمة لمجرد التفكير بأنه لا يبادلها ذلك الحب. لكن سبنسر ابتسم وبقي مستغرقاً في نومه.

استطاعت سادي مقاومة رغبتها في مشاركة السرير مع سبنسر، لكن مقاومة الاستحمام تحت الشلال الطبيعي للكوخ بدا أمراً يفوق احتمالها. لن يعلم سبنسر مطلقاً بذلك، فهو ينام غافلاً عن كل ما في العالم. بحثت عن منشفة وعن رداء سميك أيضاً. حملت الرداء ذا اللون الوردي مع

المنشفة، وعادت بهدوء إلى غرفة النوم، ثم فتحت الباب لتصل إلى هناك.

وجدت سبنسر نائماً على جنبه، لكن أنفاسه ما زالت هادئة وعميقة. راقبته سادي، وبعد التفكير قررت أنه إن بقي في مكانه ستجد متسعاً لها لتتمدد على السرير عندما تنتهي من الاستحمام، وهكذا لن تسبب له الازعاج.

خرجت إلى حجرة الاستحمام وأغلقت الباب بهدوء وراءها. نزعت عنها ثوب السباحة، وتحركت نحو البركة ثم وقفت تحت الشلال.

آه. . . إنها الجنة! شعرت بالمياه ناعمة ومتدفقة بشكل دائم، كما أنها دافئة. يا له من شعور رائع!

من المؤكد أنها لن تستحم مرة ثانية في المغطس الصغير في بوت من دون أن تتذكر هذا الشلال وهذه البركة.

رفعت وجهها ليتلقى شلال المياه، وتركت الماء ينساب على جسدها كله. نسيم عليل من الهواء حرك أوراق الشجرة المحيطة بها. على بعد مسافة قصيرة تستطيع سماع أصوات الناس على الشاطىء، ويبدو إن ماريون وجون لم يبقيا بمفردهما، بل انضم إليهما ستيف وكاتي وليوني. إنهم يضحكون على شيء ما. إحساس غريب سيطر عليها، لأنها تستطيع سماعهم بمثل هذا الوضوح، ومن هذه المسافة القريبة، وهي تحت الشلال، وتعلم جيداً أنهم لا يستطيعون رؤيتها.

لا أحد يستطيع رؤيتها.

باستثناء سبنسر. . .

٧ - أحلام أم حقيقة؟

استغرق سبنسر في الأحلام.

إنها أحلام نابضة بالحياة والنشاط، حيث وجد نفسه يقترب من سادي، ثم يلامس بيديه ذراعيها وكتفيها، ثم خدها وأرنبة أنفها، وأخيراً يعانقها . . .

مرر يده في شعرها فوقع المشبك على الأرض محدثاً طقطقة.

طقطقة؟ ومشبك؟

تقلب على السرير، ثم فتح عينيه في اللحظة التي أدارت فيها سادي مقبض الباب الزجاجي لحجرة الاستحمام تحت الشلال، ثم أغلقت الباب من جديد. من خلال ذلك الباب الزجاجي راقب سبنسر صورة نابضة بالحياة والحيوية أكثر من كل أحلامه وأوهامه حول سادي.

شعر بجفاف في فمه. ولم ترمش عيناه وهو يحدق بسادي الفاتنة. تأوه وهو يشعر بالسعادة، فها هي أحلامه تتجسد أمامه. تنفس بصعوبة، وأغمض عينيه. أيكون ما رآه من صنع خياله، بسبب شعوره بالارهاق بعد السفر وكثرة في العمل، بالإضافة إلى شدة شوقه لها؟

فتح عينيه من جديد، وتبين له أنها لا تزال واقفة في البركة الصغيرة تحت الشلال. وهي تقوم ببعض الحركات كالقفز، وتتحرك كأنها ترقص بخطوات خفيفة.

إنه لا يستطيع أن يغمض عينيه الآن. فلا جدوى من ذلك. حسناً! لماذا يزعج نفسه؟ فهو لن يتمكن مطلقاً من نسيان ما يحدث، لذلك من الأفضل له أن يستمتع بالمشهد. ففي النهاية. سادي هي زوجته، وهو لا

يفعل أمراً خاطئاً، أليس كذلك؟

بإمكانه أن ينهض عن هذا السرير، وينضم إليها هناك في البركة تحت الشلال. وبما أنه زوجها، بإمكانه أن يعانقها ويلامسها كما يشاء.

ظهر الضيق على وجهه فاستدار وتمدد على ظهره. راح جسده يصرخ به معترضاً، فهو يريده أن يستجيب لاندفاعه الطبيعي تجاه المرأة التي هي زوجته.

لِمَ لا يفعل ذلك؟ هل ستقاومه سادي؟ لم يبدُ عليها الانزعاج بشأن مشاركتهما في شأن سرير واحد أما هو فشعر بالانزعاج لأنه اعتقد أن هذا الأمر سيسبب لها الاحراج.

أتراها توافق على إقامة علاقة حميمة معه؟

لكنه يعلم أن سادي قدمت له خدمة في تلك الليلة، لأنها شعرت بالشفقة عليه. لِمَ سترغب بالزواج به، في مطلق الأحوال؟ فهي تعرف عائلته، وتعرف ماضيه. وهي امرأة طبيعية تريد زوجاً ومنزلاً كي تنشىء عائلة سعيدة. وهي تستحق رجلاً أفضل منه.

لهذا، فإن أقل ما يستطيع القيام به هو أن يحصر أفكاره في العمل، فهو بحاجة إلى أن يتذكر ذلك بشكل دائم.

* * *

انتهت سادي من الاستحمام، فجففت جسمها، وارتدت الرداء ذا اللون الوردي الناعم، ثم مشطت شعرها بأصابعها كي لا تبدو كالفزاعة. بعدئذٍ، أخذت نفساً عميقاً، وتحركت بهدوء وعناية بقدر ما تستطيع، ثم فتحت الباب الزجاجي متمنية أن يكون سبنسر قد ترك لها مساحة من السرير تمكنها من أخذ قيلولة صغيرة.

لكنه لم يكن هناك! بدا السرير فارغاً، والغطاء مجعداً، لكن سبنسر ليس هناك.

شعرت بقلبها يخفق بشدة بين ضلوعها. ركضت إلى غرفة الحمام، إلا أنها لم تجده أيضاً. تطاولت برأسها إلى الشرفة الخارجية، فلم تجده. حتى

إنها خرجت إلى آخر الشرفة وأطلت على الشاطىء، لكنه لم يكن هناك أيضاً. إلى أين ذهب سبنسر؟ ولماذا؟

لاحظت أن سروال السباحة القصير قد اختفى. وأن الثياب التي كان يرتديها علّقت في الخزانة. هل استيقظ، ثم بدل ملابسه وارتدى سروال السباحة معتقداً أنها ما زالت على الشاطىء؟

ألم يرها تحت الشلال؟ كيف بإمكانه ألا يراها؟ شعرت بوجهها يحترق من التوهج وهي تدرك أن ليس هناك أي مجال كي لا يراها. المنظر من تحت الشلال مظلم باتجاه الغرفة بسبب انعكاس نور الشمس على الزجاج، غير أن المنظر من هنا إلى مكان الشلال واضح الرؤية وصاف مئة بالمئة. من المستحيل ألا يراها من هنا. شعرت بجسمها كله يتقد ناراً ويحترق من الإذلال. هل رآها ونظر إلى الناحية الأخرى، أو بالأحرى هرب إلى الناحية الأخرى من الجزيرة؟

كيف ستتمكن من قضاء أسبوع مع سبنسر في الغرفة نفسها وفي السرير نفسه، إن كان لا يستطيع حتى تحمل النظر إليها وهي التي تمنت أن تحول هذه العلاقة إلى زواج حقيقي وسعيد؟ ما الذي كانت تفكر به؟

سمعت أصوات قرع طبول عميقة ومكتومة، يتردد صداها عبر جدار الكوخ في ساعة متأخرة من بعد الظهر، وعلمت سادي ما الذي تعنيه: العشاء أصبح جاهزاً. بالطبع عليها أن تكون هناك، فهذا هو عملها.

خلال الساعتين الماضيتين جلست على كرسي وراحت تبكي وهي تضم ركبتيها إلى صدرها. قالت لنفسها مراراً وتكراراً إن من الغباء أن تفعل ذلك. ولا فائدة أو جدوى من ذلك كله. لكن الكلام لم يساعدها أو يخفف من شعورها بالألم. لم تكن لديها أية فكرة عن مكان سبنسر وإلى أين ذهب. لا بد أنه أسرع بالهرب يائساً من رؤيتها، ولهذا لم يعد حتى الآن.

في مطلق الأحوال، عليه أن يظهر أثناء العشاء. إنه حضور إجباري، فالسيد إيزوغاوا يتوقع أن يراهما معاً. لهذا سيظهر سبنسر، متوقعاً منها

أن تقوم بدور الزوجة المحبة.

تمتمت لنفسها: «وماذا بشأن الزوجة المرفوضة؟».

جففت عينيها بمنديل، وتساءلت إن كان هذا ما شعرت به ليوني. وربما هذا صحيح. . تباً للرجال!

مسحت سادي عينيها، رغم غضبها، ثم بحذر وعناية وضعت زينة كافية على وجهها وهي تتمنى أن تخفي تورم عينيها وخديها. ما زالت عيناها حمراوين، لكن بإمكانها القول إنهما كذلك بسبب السباحة.

اتجهت نحو الخزانة وأمسكت بفستان رقيق من اللون الأحمر البرتقالي، أحضرته لها مارتا في الصباح الذي كانت سادي على وشك المغادرة فيه. قالت لها وهي تضعه في يدها: «هذا الفستان زار اليونان. ارتديته هناك عندما ذهبت أنا وثيو وإيدي إلى هناك منذ عدة أشهر. قال ثيو إنه رائع جداً».

ابتسمت وهي تحرك حاجبيها، ثم تابعت: «ربما سيراه سبنسر كذلك أيضاً. في مطلق الأحوال، يجب أن يزور جنوب المحيط الهادي قبل التقاعد».

قررت سادي أن تقوم بعملها على أكمل وجه، كما أنها ستستمتع بوقتها قدر ما تستطيع. وليذهب سبنسر إلى الجحيم!.

وصلت إلى قاعة الطعام بمفردها. نهض السيد إيزوغاوا على الفور ما إن رآها. ابتعد عن زوجته وعن عائلة تن إيك، ثم اقترب منها وانحنى قليلاً قبل أن يدعوها لتنضم إليهم.

سألها: «هل تستمتعين بوقتك؟».

- نعم، شكراً لك. آريغاتو.

كررت شكرها باللغة اليابانية، وهذا ما جعل السيدة إيزوغاوا تبتسم. تابعت: «إنني أمضي وقتاً رائعاً. المنزل في الشجرة فائق الجمال، كما أنني سبحت في البحر. الشاطىء جميل جداً والمياه دافئة. أما الشلال في حجرة الاستحمام. . . أحببته كثيراً».

لا بد أنها بدت مقنعة لأن السيد إيزوغاوا ابتسم وقال: «وسبنسر، هل أستمتع بوقته أيضاً؟ أين هو الآن؟».

قالت بمنتهى الصدق: «استغرق سبنسر بالنوم، كان متعباً جداً بعد أن عمل بشكل متواصل في الطائرة، لقد نام من شدة التعب. ذهبت للسباحة بدونه، وعندما استيقظ، أظن أنه ذهب ليستكشف الجزيرة بنفسه».

وعندما يظهر، بإمكانه أن يخبر السيد إيزوغاوا بما رآه. فالذي قالته هو الحقيقة، ما عدا تفسيرها الشخصي للأمر. هز السيد إيزوغاوا رأسه، وعلّق: «إنني متشوق لأسمع ما الذي أعجبه هنا».

ما إن وصل سبنسر قبيل تقديم العشاء بلحظات، حتى علم الجميع ما الذي رآه. هناك ممر يتجه نحو التلة عبر الغابة، حيث يستطيع المرء النظر من أعلى التلة إلى الجزيرة بأكملها.

- هناك منظر مثير للعجب، لا يمكنكم تصديقه.

بدا مشرقاً ووسيماً جداً ومرتاحاً تماماً، كأنه فعلاً في الجنة. وهذا ما جعل سادي تشعر بالكره نحوه.

لا بد أنه عاد إلى الكوخ بعد مغادرتها، لأنه بدل ملابسه وها هو يرتدي سروالاً ناعماً كاكي اللون وقميصاً قطنية زرقاء تناسب تماماً لون عينيه، مع أنها متأكدة أن لا فكرة لديه عن ذلك.

بذلت كل ما تستطيع من جهد لتبدو سعيدة وغير محبطة، مصممة على القيام بمهمتها على أكمل وجه وهي تقول: «إذاً، أمضيت وقتاً سعيداً؟».

- أجل.

توقف قليلاً قبل أن يتابع: «آسف لأنني لم ألحق بك للسباحة. غرقت في النوم كمن أصيب بضربة من شدة التعب. فكرت في اللحاق بك في ما بعد، لكنك لم تكوني على الشاطىء عندما استيقظت؟».

لا! كنت تحت الشلال، وكان بإمكانك أن تنضم إليّ هناك. لكنها بالطبع لم تتفوه بأي كلمة لمعت في ذهنها، بل ابتسمت له ابتسامة مشرقة

وتمنت أن تبدو صادقة ومخلصة.

- سآخذك غداً إلى هناك، ستعجبين جداً بالمكان.

ثم ابتسم لها ووضع ذراعه حول كتفيها وجذبها بقوة نحوه. رغب الجزء المتحفظ من سادي في المقاومة والتصرف بعجرفة وقسوة، أما الجزء الغاضب فأراد أن يرفسه بقوة. لكنها أعطت كلمتها، وهكذا اتكأت عليه، وقالت وهي تبتسم: «إنني متأكدة من ذلك».

ولأنها تفضل الموت على أن تجعله هو الوحيد الذي يثبت مدى حبهما لبعضهما، أدارت وجهها نحوه، وطبعت قبلة ناعمة على خده.

جاء دور سبنسر ليصاب بالدهشة الآن. رأت سادي مزيجاً من الارتباك والحيرة في نظرته. بعدئذٍ بدا كأنه مصمم على التحدي، إذ إن الشيء التالي الذي عرفته هو أنه أحنى رأسه وعانقها. لم يكن عناقاً محموماً من تلك العناقات التي تحتاج إلى خصوصية أو إلى أماكن خاصة بالعاشقين والمتزوجين، لكنه طال بما فيه الكفاية ليثبت صحة علاقتهما، كما أنه يعد بكثير من الأشياء، وهذا ما جعل سادي تبدو مندهشة ومتفاجئة. وعندما أنهى سبنسر عناقه أخيراً ابتسم لها.

رمته بنظرة غاضبة، ثم رفعت نظرها لترى أن ليوني كارستيرز تراقبهما.

فجأة أدركت بوضوح معنى ذلك العناق. إنه يقول لليوني: «ابقي بعيدة عني».

لكنه لم يقصد به أي شيء بالنسبة إلى سادي. لا شيء على الإطلاق.

قال السيد إيزوغاوا: «هيا، حان وقت العشاء».

أمسك الرجل ذراع زوجته، واتجهوا جميعاً نحو غرفة الطعام. بقي سبنسر يبتسم وهو يمد ذراعه إلى سادي.

تنفست سادي بهدوء ثم عقدت ذراعها بذراعه، متجاهلة اضطراب قلبها وهي تسير برفقته نحو طاولة العشاء.

* * *

ما إن فتح سبنسر باب جناحهما بعد ذلك العشاء الفاخر والأمسية الرائعة علق قائلاً: «حسناً، حسناً! سارت الأمور على خير ما يرام».

قالت سادي بسخرية: «هل تعتقد ذلك؟».

ومع أنها فعلت أكثر ما تستطيعه، لكنها لا تعتقد أن عبارة «على ما يرام» تصف بالتحديد الوضع، بل كلمة نفاق أو تكاذب هي الأقرب. مرت أمامه ودخلت إلى الغرفة، وعلى الفور تمنت لو أنها لم تفعل. فالذهاب إلى السرير مع رجل تحبينه وأنت تعتقدين أنه قد يجدك مرغوبة وجميلة يختلف كثيراً عن مشاركة السرير مع رجل يستدير ويهرب عندما يلمحك في حجرة الاستحمام.

والآن ليس هناك شاطىء ليهربا إليه، ولا مكان فسيح ليتجولا فيه. كل ما حولهما يلفه الظلام. .

قال سبنسر فجأة، وهو يغلق الباب ويخلع حذاءه: «ألا تعتقدين ذلك؟ استمتع الجميع بأوقاتهم. والمكان رائع حقاً، أكثر بكثير مما توقعت. كما أن الخدمة جيدة، والطعام شهي جداً».

- أجل.

تابع سبنسر برضى واضح: «كما أن ليوني تركتني وشأني، وعندما تخلصنا من الرسميات والشكليات، بدا إيزوغاوا شخصاً لطيفاً جداً، وكذلك زوجته. ومن الواضح أنهما يعتقدان أنك رائعة».

وأكمل بفرح: «وأنا أيضاً».

- لماذا؟ ألأنني أبعدت عنك ليوني؟ ولأن خطتك الذكية نجحت؟

تجعد جبين سبنسر وهو يشد حاجبيه إلى بعضهما.

- ما المشكلة؟

- لا مشكلة لدي! لا مشكلة على الإطلاق.

- يمكنني القول، إنك بدوت مليئة بالعذوبة والإشراق الليلة.

- أنت لا تعرف أي شيء عني!

- إذاً، أخبريني. لِمَ أنت غاضبة؟

سؤاله البسيط زاد من غضبها، فقالت: «من قال لك إنني غاضبة؟».

واستدارت مبتعدة، متعمدة أن يبقى السرير بينهما، ما إن رأته يسير نحوها.

قال بصوته العميق: «حزرت ذلك بنفسي».

التقت نظراتهما؛ بدت نظرته قاسية وغاضبة، وكذلك نظراتها. مرر يده في شعره وتابع بغضب؛ «إذاً، الأمر يتعلق بما حدث بعد الظهر. . . أليس كذلك؟».

- وما هو رأيك؟

- اعتقدت أنني أقوم بأفضل ما أستطيع القيام به. تباً للأمر!

تابع موضحاً بسرعة: «حسناً! لا بأس. أعتذر منك. لكنني لست بأعمى، سادي! لو لم تبعدي الستائر، لما تمكنت من النظر بوضوح هكذا. لم أستطع تغيير الأمر! لكنني غادرت، ألم أفعل ذلك؟».

فتحت سادي فمها غير مصدقة: «ماذا؟».

تابع سبنسر بالنبرة الغاضبة نفسها وعيناه تلمعان بشدة: «ما دمت لا ترغبين بأن أراك، لماذا بحق الجحيم لم تسدلي الستائر وأنت تستحمين؟».

أيظن أن هذا هو سبب غضبها؟ لأنه رآها وهي تستحم؟ وليس لأنه شعر بالاشمئزاز من رؤيتها، وقرر مغادرة الغرفة؟

هزت سادي رأسها وهي تشعر بالخدر، محاولة أن تفهم جيداً ما قاله، وأن تجد له مبرراً عقلانياً. أخيراً استطاعت أن تسأله بغباء: «ألهذا السبب غادرت؟».

أجاب بنبرة ساخرة: «وهل أردتِ أن أستلقي هنا لأحدق بك؟ هل أصبحت سادي التي نعرفها جيداً تتصرف بطريقة فاضحة الآن؟».

- بالطبع لا! كنت بحاجة للاستحمام. ورأيت الشلال جميلاً ومشوقاً، ولا يشبه أبداً المغطس الذي أستحم به كل يوم. كما تأكدت من أنك نائم، ولم أكن أحاول إغواءك.

قال لها بصراحة: «هذا ما فكرت به التحديد، وأدركت أنك ستبدين

جذابة جداً عندما تعودين إلى الغرفة، لهذا غادرت».

لكن سادي تعلقت بكلمة واحدة: «جذابة؟».

كررت الكلمة كأنها لم تسمع بها من قبل. حدقت به بدهشة وتعجب، وسألته: «أنت تعتقد أنني. . . ؟

- يا إلهي! إنك جذابة ومغرية كألسنة النار، سادي موريسي.

كرر من جديد وبحزم: «أنت جذابة جداً، وما كنت لأرضى بمجرد النظر فقط. كنت لأرغب بالمزيد. وذلك ليس جزءاً من اتفاقنا، لذلك غادرت».

- آه!

قال بحزن: «أنا أعتذر. كان ذلك كل ما استطعت التفكير بالقيام به في ذلك الوقت».

التقت نظراتهما من جديد، وهذه المرة لم يبعد أي منهما نظره عن الآخر. شعرا بتيار كهربائي يسري بينهما، تيار ملؤه الشوق والإحباط والانجذاب. . من المؤكد أن سادي شعرت بكل تلك الأحاسيس، لكن لا فكرة لديها عما يشعر به سبنسر في النهاية. ضغط على أسنانه، وقال: «لا تحاولي إغوائي، سادي. فالفتيات الصغيرات اللواتي يلعبن بالنار لا بد أن يمسهن الحريق في النهاية».

شعرت بأنها وصلت إلى غايتها، وأن كل مخاوفها قد زالت، سمعت صدى دقات قلبها في أذنيها.

- هل هذا وعد؟

قال بصوت غاضب: «توقفي عن الكلام، واستعدي للنوم، لقد اعتذرت من قبل بشأن السرير، وأفضل الموت على أن أعتذر من جديد».

علقت سادي: «لا أهتم لما تقوله».

تجاهل ما قالته، وتابع: «سأخرج لأمشي قليلاً على الشاطىء بينما تبدلين ثيابك. وعندما تصبحين في السرير والغطاء محكم عليك، خففي الضوء قليلاً».

بعد ذلك، ومن دون أن يسمع إجابتها، فتح الباب وسار إلى الخارج عبر الظلام.

وقف سبنسر في الخارج، ورفع نظره إلى السماء الداكنة قائلاً لنفسه: ستسير الأمور على أتم ما يرام.

مضت الأمسية على خير. قام بدوره تماماً، وكذلك فعلت سادي. بالطبع، مرت بهما بعض اللحظات الحرجة، لكنه تمكن من تولي الأمور بشكل جيد. كما أنه اعتذر عما حدث بعد الظهر. لم يكن ما حدث غلطته في النهاية، تباً!

إن كان محظوظاً، ستنام على الفور ما إن تستلقي على السرير. هكذا سيتمكن من تمضية الليل برفقتها. بالطبع سيفعل. فهو ليس مراهقاً بل لديه القدرة على السيطرة على نفسه. بعد ذلك، ومن زاوية عينه، رأى الضوء في جناحهما يخفت قليلاً، ثم يُضاء من جديد. وفجأة لم يعد يشعر بكامل قدرته على السيطرة على نفسه.

وجه أفكاره بعيداً جداً عن سادي، وعما يمكن أن ترتديه تحت غطاء السرير.

صعد الدرج، وفتح الباب. لكن لم تكن سادي تحت الغطاء أبداً.

- طلبت منك أن تنامي.

ابتسمت سادي، وتمددت بدلال وغنج.

- أنا لا أعمل لديك أربعاً وعشرين ساعة في اليوم، وسبعة أيام في الأسبوع. آسفة. كما أن هذا ليس وقت العمل.

حدّق بها غاضباً من شدة الجمال والجاذبية اللذين تظهرهما وهي جالسة على السرير، مرتدية ثوباً للنوم أصفر اللون من الحرير الشفاف، وتبتسم برقة وعذوبة. بدت مليئة بالجاذبية كحواء وتفاحتها الشهيرة.

سألها: «ما الذي تحاولين القيام به؟».

نظرت إليه ببراءة وقالت: «القيام به؟».

لم يصدق ما تفعله للحظة. فقال كأنه يتهمها: «أنت تعرضين نفسك

متباهية محاولة أن تغويني!».

ابتسمت برقة وسألته: «وهل نجحت بذلك؟».

– ما الذي تفكرين به، سادي، بحق الجحيم؟ هل تريدينني...

مرت لحظة من التردد، ثم ابتسمت له بمكر وقالت: «في الحقيقة، هذا ما أريده».

٨ - اعتراف فوق الرمال

– سادي!

بدا كأنه لم يسمعها بطريقة صحيحة، بل كأنه يشك بأذنيه. لم تستطع سادي أن تكرر ما قالته، لذلك قالت بتوتر: «إلا إذا كنت لا ترغب بذلك».

حدّق بها، وقال بصوت مخنوق: «أنت لا تمزحين. أليس كذلك؟».

وبدون أن يضيف أية كلمة أخرى، جذبها إلى ذراعيه، ثم ضمها بشدة وعانقها. وبصورة لا شعورية عانقته سادي بشغف ولهفة. بدا الأمر وكأنهما عادا إلى ذاتيهما.

بدا أن ما يحدث هو صدى لتلك الليلة السابقة... ليلة زفافهما، لكن الأمور أفضل الآن بدون أي شك. بدت معانقاتهما يومها متوترة، يائسة وشديدة الاهتياج. ومع أنها الآن نهمة أيضاً لكنها أقل يأساً.

أما التشابه بينهما فينتهي هنا. عناقهما الآن يبحث عن المشاركة والمشاعر المتبادلة. إنه يقدم لها سينسر بالطريقة التي حلمت بها دائماً. عناقه هذا يقول لها إنه لها...

أما سادي فهي بالطبع له منذ أن تفتحت على الحياة. لكنها حتى الآن، حتى هذه اللحظة، كانت تعتقد أنها قدمت نفسها بالكامل لرجل لم يتوقع منها إلا قضاء ليلة قصيرة حميمة، ولا يريد منها بالمقابل إلا صداقة عادية وساعات طويلة من العمل الشاق والمتواصل. لكن عناقه الآن، ورعشة يديه وهو يلامسها، جعلاها تدرك أن مخاوفها لا أساس لها. إنه يريدها كلها تماماً كما تريده.

www.romancia.com

همس سبنسر وهو يطوف بأنفاسه فوق وجهها: «سادي!».

شعرت كأنها تذوب من شدة السعادة.

ألقت رأسها على خده، ملامسة عنقه وكتفيه. شعرت بأنفاسه تتسارع وتصبح أكثر ضعفاً، أما بشرته فغدت حارة جداً. تساءلت إن كان يشعر بحرارة وتوعك، فهي تستطيع أن تشعر بتسارع دقات قلبه. فسألته: «هل أنت بخير؟».

أجابها بصوت اختلط فيه الأنين والضحك: «إنني أموت».

النبرة المرتعشة التي ظهرت في صوته جعلتها تبعد رأسها إلى الوراء، وتقول مرتعبة: «تموت؟!».

تمتم: «لأجلك أيتها الحمقاء... كنت أموت توقاً إليك».

لم تصدق سادي ما سمعته للحظة. لكنها في الواقع أحبت سماع ذلك منه.

- هل أنت متأكد؟

ضمها إليه بقوة أكبر، ثم سألها: «ما رأيك أنت؟».

قالت وهي تبتسم وتلتصق به أكثر: «آه!».

- توقفي عن القيام بذلك، أنت تدفعينني فوق كل الحدود.

تمتمت سادي وهي تبتسم ابتسامة كبيرة: «يا للعار!».

- أتسخرين مني؟

عانقته بقوة وهي تشعر بالارتياح والسعادة لأنها أخيراً أصبحت حرة في التقرب منه بالطريقة التي تريدها، والتي تحلم بها منذ سنوات. سألته: «ألديك مشكلة في ذلك؟».

تمتم سبنسر: «أعتقد أنني سأعتاد على الأمر».

ثم دفن وجهه في عنقها ليرفعه بعد قليل وهو يبتسم. سمعت صوته وهو يقول برهبة وخشية: «هل أنت حقاً، سادي، أنت...».

- أجل، أنا.

منذ أربع سنوات ارتبكت سادي بشدة من تطور الأحداث المفاجيء

وزواجها الغريب، فلم تقم إلا بتقديم نفسها له، أما الآن فهي تريد المزيد.. تريد أن تشاركه هذا الحب.

مضى على تلك الليلة وقت طويل، ساورها الشك بأنها ستجتمع معه ثانية في علاقة حب حقيقية. في الحقيقة، لطالما فكرت في أوقات كثيرة أنها حلمت بكل ما حدث. لكن ما حدث لم يكن حلماً. آه، لا! الآن وهي تضمه إلى قلبها وتمنحه كل عاطفتها وحبها، أدركت سادي أنها لا تريد أي شيء في الدنيا أكثر من حب سبنسر وحنانه. غاب كلاهما في دوامة من المشاعر والأشواق جعلت منهما في النهاية شخصاً واحداً.

* * *

لم ينضم سبنسر وسادي إلى الآخرين في وقت الفطور.

إلا أنهما وصلا عندما انتهى الجميع من تناول الطعام، واستلقوا جميعاً على مقاعد مريحة لتناول فنجان من الشاي أو القهوة، بدا بوضوح أنهما أمضيا ليلة محمومة في جناح شهر العسل.

بدوا مرهقين فعلاً، فقد أمضيا الليل بطوله ساهرين، وعند الفجر ذهبا للسباحة بناء لاقتراح سبنسر.

أدركت أن نظرة واحدة إليهما تكفي لكي يعلم الجميع أنهما أمضيا ليلة سعيدة. وعندما سألها السيد إيزوغاوا بتهذيب إن كانا مرتاحين، لم تتمكن من التوقف عن الابتسام، وأجابت: «أمضينا ليلة سعيدة».

هذه هي الحقيقة، ففي النهاية هذا ما يشعران به حتى لو لم يناما. قلت ليوني بنبرة ملؤها الحسد: «أراهن على ذلك؟».

لم يلاحظ ريتشارد تذمر زوجته، لكن ماريون قفزت من مكانها فقالت بدبلوماسية: «المكان رائع. أنا وجون استمتعنا كثيراً أيضاً، فالطقس ليس حاراً ولا بارداً. إنه مليء بالسلام والطمأنينة. تمتعنا كثيراً بتلك النسمات العليلة والأمواج المتدفقة».

تساءلت سادي إن كانت ماريون قد رأتهما يسبحان عند الفجر، علمت أن وجهها يزداد توهجاً، لكن ماريون لم تبتسم لها ابتسامة ماكرة،

www.elromancia.com

ولم تغمزها أشارت كاتي إليهما ليتقدما نحو طاولة يجاورها كرسيان فارغان وهي تقول: «هيا! اجلسا واستمتعا بالفطور؛ إنه شهي جداً: فاكهة طازجة، بيض وتوست فرنسي. نحن تناولنا الكثير من الطعام، وقررنا أنا وماريون أن نذهب في نزهة على الأقدام أثناء انعقاد الاجتماع. هل ترغبان في مرافقتنا؟».

وحدّقت بليوني وسادي باهتمام.

قالت ليوني على نحو مفاجىء: «لا. أنا سأذهب إلى قاعة التدليك...».

وتابعت وهي تبتسم بمكر: «... مع جايل؟».

جايل هو الشاب الذي حمل حقائبهم إلى أجنحتهم البارحة، ولا بد أنه وسيم جداً.

رمت سادي ريتشارد بنظرة سريعة لترى إن كانت تستطيع معاينة ردة فعله على خطة ليوني، لكن بدا كأنه لم يسمع شيئاً. كان يتحدث مع جون، ولا يعير أي انتباه إلى زوجته على الإطلاق.

قالت سادي محدثة ماريون وكاتي: «أحب القيام بذلك، لكن هذه الرحلة ليست شهر عسل لي. لدي عمل أيضاً، وعليّ حضور الاجتماعات».

لم يقل سبنسر ذلك، لكن الحقيقة هي أنها تريد حضور الاجتماع. تريد أن تكون في أي مكان يتواجد فيه سبنسر، تريد أن تمضي النهار كله وهي تنظر إليه، متعجبة من حقيقة أنهما انسجما معاً بعد ذلك الوقت الطويل، وأنه حقاً لها، وأنهما أخيراً عرفا ذلك معاً.

لم يتحدثا كثيراً ليلة أمس. لكن عندما سقطت الحواجز بينهما، شعرت سادي بإحساس كبير من الدهشة، إحساس قوي جداً سيطر عليها. لا بد أن الوقت سيتسع للمزيد من الكلام في ما بعد. مع ذلك، قالت له: «أحبك».

وصلت بها الجرأة إلى هذا الحد، ثم حبست أنفاسها بعد أن خرجت

الكلمات من فمها، خشية أن يضحك سبنسر منها. لكنه لم يضحك. تأوه، وعانقها بيأس. ثم أخبرها أنه يحبها أيضاً. وهي بدت مستعدة لترضى بذلك، فهي تؤمن أنه يحبها حتى لو لم يكن قادراً على قول ذلك بعد.

لكنه فاجأها وهو يرفع رأسه وينظر من أعماق قلبه إلى عينيها ويقول: «أنا أحبك أيضاً».

شعرت بإحساس قوي من البهجة، وأصبحت واثقة الآن أنه شريك روحها. في الواقع، هذا ما اعتقدته سادي على الدوام.

إنه يحبها! هذا ما قاله ولا شك لديها أنه سيعبر عن تلك الحقيقة من جديد ما إن يحظيا ببعض الخصوصية. أما في الوقت الحالي فبإمكانها أن تراقبه. بإمكانها أن تسجل الملاحظات كما هو مطلوب منها عند الحاجة، وعندما تنهي العمل بإمكانها أن تفكر بما حدث معهما وبما سيفعلانه عندما يصبحان بمفردهما. الفكرة بحد ذاتها جعلتها تبتسم من جديد.

وبختها ماريون وهي تضحك من ابتسامتها البلهاء: «أيتها العروس، توقفي عن أحلام اليقظة، واطلبي ما تريدينه من طعام. إنك تثيرين حسدي حقاً».

شعرت سادي بتورد خديها من الخجل، فسارعت إلى الجلوس. اقتربت منها النادلة على الفور وهي تحمل لائحة الطعام.

طلبت كوباً من العصير، وفطيرة صغيرة مع عجة البيض وفنجاناً من الشاي، مع أنها تستطيع أن تأكل وجبة من الحجم الكبير. لكنها لا تريد أن يعتقد كل شخص هنا أن سبنسر تزوج من امرأة نهمة.

نظرت كل من كاتي وماريون إليها، وهزتا رأسيهما، ثم ابتسمتا وتنهدتا. نقلت ليوني نظرها بين سادي وسبنسر مرة جديدة، ثم أدارت رأسها ونظرت نحو ريتشارد كأنها ترغب في أن ترميه بخناجر، لكنه بقي منشغلاً، ولم يلاحظ شيئاً.

شعرت سادي بالأسف عليها، وتمنت لو أنها تستطيع مساعدتها، لا

www.elromancia.com

سيما أن محاولة ليوني إغواء سبنسر هي السبب المباشر لوجودها هنا. شعرت أنها تدين بسعادتها لها. مسكينة ليوني!

- آه! أرى أنك سعيدة هذا الصباح.

تلك النبرة الناعمة التي تركز على مخارج الحروف جعلت سادي ترفع نظرها، لترى السيدة إيزوغاوا تقف بجانب طاولتها.

أكدت لها سادي: «إنني سعيدة جداً، وأعتقد أن هذا المكان هو أكثر الأماكن روعة في العالم كله».

وافقت السيدة إيزوغاوا: «هو مكان رائع حقاً، وهو مليء بالسعادة. أنا التقيت بزوجي هنا».

- أحقاً؟ هنا؟

- أجل.. أجل.

ثم نظرت نحو زوجها، وتحدثت معه باللغة اليابانية، فقال: «هذه هي الحقيقة. كانت هنا مع بعض الأصدقاء في عطلة، وكنت أعمل في هندسة هذه المباني. غير أنني لم أستطع أن أبعد عيني عنها، وأخيراً وجدت طريقة لأتعرف عليها».

سحرت سادي بما سمعته. إنه حقاً مكان سحري.

- تأتي عائلتنا إلى هنا كل سنة، وستتعرفين عليهم في وقت لاحق من هذا الأسبوع. أبناؤنا وابنتنا وأحفادنا.

هز رأسه مفكراً، ثم تابع وهو يبتسم: «وربما ستأتين في المستقبل أنت وعائلتك أيضاً».

كادت عيناها تبتلان بالدموع لمجرد التفكير بذلك. نظرت إلى سبنسر، فوجدت أنه يصغي إلى شيء ما يقوله ستيف والكر.

قال لها السيد إيزوغاوا: «لست بحاجة إلى القدوم إلى الاجتماع اليوم. إن كنت ترغبين في التجول في الجزيرة، سأطلب من مساعدي أن يقدم لك نسخة عن الملاحظات التي يسجلها».

أجابت سادي: «أحب أن أحضر، فهذا عملي. وأنا عادة لا أرى

سبنسر في هذا النوع من أعماله».

هز السيد إيزوغاوا رأسه، وقال: «حسناً! استمتعي بفطورك. سيبدأ الاجتماع بعد ساعة».

انضم الرجال الآخرون إلى سبنسر في اللحظة التي وصل فيها مع سادي إلى صالة الطعام؛ ريتشارد مع أوراقه، وستيف وجون بأسئلتهما التي لا تنتهي. بدا الجميع منشغلين بالأعمال، وبالحديث عن نجاح منتجع نانومي وروعته. نانومي معناها تذكر، كما قالت سادي. والآن يشعر سبنسر أن لديه الحق بأن يفعل ذلك. ففي اللحظة التي حملها فيها إلى السرير وضمها بين ذراعيه، راوده إحساس أنه كان هنا من قبل. كل تجسدات الذكرى من أصوات وأشكال ولمسات وشعور، التي عمل جاهداً على محوها، عادت إليه بقوة.

أثناء علاقتهما تعرف سبنسر على عواطف لم يختبرها من قبل إلا في تلك الليلة الوحيدة منذ أربع سنوات. إنه إحساس لم يشعر به منذ ذلك الوقت، فقد خسره قبل أن يدرك أنه عاشه. بين ذراعي سادي وجد سبنسر نفسه حيث ينتمي.

قالت له إنها تحبه. قالتها بحرارة وشوق بل حتى بيأس، أو ربما هذا ما شعر به. إنها تحبه كما يحبها هو تماماً.

واعترافه أذهله هو أيضاً. لا يستطيع التذكر مطلقاً أنه قال تلك الكلمات لأي شخص آخر في حياته كلها. لكن مع سادي، خرجت الكلمات من فمه من تلقاء نفسها.

هو يعتقد فعلاً أنه يحبها، وقد أحبها منذ زمن طويل جداً. أحبهاعندما كانت مهشمة الساقين، ولديها فجوة بين أسنانها وهي في الخامسة من عمرها، وعندما كانت تجري وراءه ووراء داني في تلك السنوات البعيدة. وفيما هو يراقبها تكبر، كان معجباً دوماً بتصميمها القوي وذكائها ومواهبها.

قدّر سبنسر كثيراً مساعدتها له عندما أتت لتعمل لديه في المرة الأولى،

وافتقدها بشدة عندما ذهبت إلى الجامعة في كاليفورنيا، لأن مساعدتها له ساهمت في إنجاح أعماله. هذا ما فكر به حينها، ولهذا السبب عاهد نفسه على القيام بكل ما يستطيعه ليتأكد من عودتها إلى بوت لتعمل لديه.

تلك كانت الحقيقة... لكنها ليست الحقيقة بأكملها.

الآن بات سبنسر يفهم ذلك. لسنوات عدة فهم أن هناك المزيد في علاقته مع سادي موريسي، وأكثر بكثير مما يستطيع الاعتراف به. ففي السنوات التي أصبحت فيها سادي في المرحلة الثانوية، بدأ يشعر بانجذاب قوي نحوها وهو يلاحظ تفتح أنوثتها وشدة جمالها. وإن كان عقله الراجح منعه من التصرف كما تملي عليه عواطفه، فإن تحذير داني الشرس له بقوله: «دعها وشأنها! فأنت لا تملك أي شيء لتقدمه لها» كان كفيلاً بإنهاء أي رغبة أو ميل حقيقي نحوها. إلى أن تخلت إميلي عنه، ما دفع حدسه إلى التصرف وتولي أمور حياته. عندها تجرأ وسأل السؤال الوحيد المدفون في أعماقه لدرجة أنه لم يجرؤ يوماً على التفكير به.

قام بما يمليه عليه قلبه، وتزوج من سادي. لكنه عمل على إفساد الأمر من جديد في اليوم التالي. وكاد الأمر يستمر كذلك إلى الأبد، إلاّ أنه حظي بفرصة ثانية لحسن الحظ. وهو سعيد جداً بذلك، بل أكثر من سعيد. إنه كمن يسير فوق القمر.

ليلة البارحة جعلته سادي يشعر بأنه حي وكامل. جعلته يشعر كما لم يشعر يوماً في حياته. جعلته يشعر بأنه محبوب، وهذا إحساس يعرفه سبنسر من خلال فقدانه له، لا من خلال وجوده في حياته.

الناس يحبون بعضهم ويتلقون الحب من الآخرين، إلاّ أن ذلك لم يحصل في عائلته. لكن لم يعد لذلك أهمية بعد الآن، لأن سادي تحبه، وقد أظهرت له ذلك الحب ليلة البارحة.

قال ريتشارد كارستيرز بصوته الخشن: «هل تصغي إلى أي كلمة أقولها؟».

كلام ريتشارد اخترق الاحساس الذي يعيشه سبنسر، والذي يملأ

دماغه، فأعاد انتباهه إلى الحاضر.

- ماذا؟ بالطبع، أنا أصغي إليك.

لكنه كما يبدو لا يستطيع التركيز على أي أمر غير سادي. لقد أنهت تناول فطورها... إلى أين تراها ذهبت؟

لم يتوقف عن التجول بنظره حتى وجدها على الرصيف، والهواء اللطيف يداعب شعرها، وأشعة الشمس تطبع قبلات على خديها. بدا خداها أكثر توردا مما هما عادة.

قال ريتشارد: «وستبني بعض الإصطبلات أيضاً، ألا توافق؟».

- هممم..

قال ستيف بخشونة: «دع الرجل يتناول فطوره، سيصغي إليك في ما بعد».

زفر ريتشارد بضيق، لكنه وضع كومة الأوراق جانباً، ثم نظر حوله بدون أي اهتمام، قائلاً: «أين ليوني؟».

- لا أعرف.

فكر سبنسر أنه لا يهتم، لكنه شعر فجأة بالكرم والتعاطف، ففي الواقع هو يشعر أنه يدين لليوني بشيء ما، لأنها، بطريقة ما، دفعته لإحضار سادي معه إلى هنا. لذا قال لريتشارد: «عليك أن تبحث عنها، لترى إن كانت تمضي وقتاً سعيداً. يمكنك أن ترافقها للسباحة في البحر».

بدا ريتشارد مذعوراً وهو يقول: «للسباحة؟».

- لهذا السبب دعانا إيزوغاوا لتمضية هذا الأسبوع هنا.

ذكره بحماس وهو يتابع: «تذكر ما هو الأهم بالنسبة لنا: «جمع شمل العائلة».

هزّ ريتشارد رأسه وعلّق: «ليوني زوجتي، وليست عائلتي».

لم يرَ سبنسر أي فرق بين الأمرين، لكن على أي حال لا خبرة لديه بهذه الأمور، لذا قال بهدوء: «إنها مجرد فكرة طرأت على بالي».

زفر ريتشارد وعاد إلى أوراقه من جديد.

أمضت سادي ساعتين قبل الغداء وساعتين بعده وهي تحضر الاجتماعات، تأخذ الملاحظات وتراقب سبنسر. وإن كان من المحتمل أن تجد أسباباً جديدة لتحب هذا الرجل الذي تزوجت به منذ أربع سنوات، فقد وجدتها بعد ظهر هذا اليوم.

مر وقت طويل جداً على رؤيته في العمل بعيداً عن مكتبه في بوت حيث يعملان بمفردهما، واليوم رأته يعمل مع عدد من الأشخاص. لاحظت أن سبنسر يصغي إلى آرائهم، يحلل ما يقولونه، ويستنتج، ويحدد ما هو المطلوب. إنه يعمل مع مجموعة من الرجال لكل منهم جدول أعمال مختلف واهتمامات خاصة، ومع ذلك جمعهم على اتفاق واحد، فهو يملك طريقة للتحدث إلى الآخرين تمنحهم الثقة.

قالت له سادي عندما انتهى الاجتماع في فترة بعد الظهر: «أنت حقاً تثير الدهشة».

ابتسم لها بحماس، وأجاب: «أنت تجاملينني وتتحيّزين لي».

– لكن هذا لا يعني أنني مخطئة.

بعد ذلك، ولأنها أصبحت تملك الجرأة على إظهار عواطفها، وقفت على أطراف أصابع قدميها وعانقته. عانقها بدوره عناقاً دافئاً مليئاً بالحماس والعاطفة. عندها تحلق الرجال الآخرون حولهما، وصفقوا لهما. وضع سبنسر ذراعه حول كتفها وقال: «إن كنتم تعذروننا، أيها السادة، فأنا وزوجتي بحاجة إلى النقاش بشأن بعض الأمور».

وهذا ما فعلاه في ما تبقى من فترة بعد الظهر، في سريرهما وتحت الشلال الخاص بجناحهما. ما حدث بدا أكثر مما تخيلته سادي يوماً في أحلامها.

بعدئذٍ تركها سبنسر لترتاح، ونهض ليرتدي ثيابه ثم يغادر للقاء ريتشارد والسيد إيزوغاوا لمعاينة مكان اقترح ريتشارد أن يتم بناء بعض الاصطبلات فيه.

قال لها: «أنت لا تمانعين إن غادرت. أليس كذلك؟».

– بالطبع لا. هذا هو سبب مجيئنا إلى هنا.

انحنى فوقها على السرير وطبع قبلة ناعمة على وجهها وهو يسألها: «أتريدين الذهاب للسباحة في الليل؟».

ابتسمت قائلة: «السباحة؟».

– وكل ما يستتبع ذلك من أمور.

– أحب ذلك، وأحبك!

ابتسمت وهي تراقبه ينتعل حذاء خفيفاً ويتجه نحو الباب. بعدئذٍ استحمت، ثم ارتدت ثيابها وذهبت للسير على الشاطىء.

رأت ليوني واقفة قرب مجموعة من المقاعد الطويلة، تتحدث مع جابل. كان يبتسم لها وهي ترمقه من تحت رموشها، وتمرر يدها على ذراعه. عندما رأت سادي تقترب منهما طلبت منه الرحيل، وبدا عليه الارتياح وهو يبتعد مسرعاً.

قالت ليوني تفسر لها: «كنت فقط . . . أحدد موعداً آخر للتدليك. إنه ماهر جداً. هل أنت متأكدة من أنك لا ترغبين في التجربة؟».

لم تكن سادي متأكدة مما تقصده بقولها إنه ماهر جداً، لكنها تعرف جيداً الجواب عن سؤالها، فقالت: «لا. شكراً».

جلست ليوني على منشفة للشاطىء، ثم تمددت عليها. حركت أصابع قدميها وهي ترمي سادي بنظرة جانبية: «أعتقد أنك لا تريدين أن يضع أحد يديه عليك».

– تقصدين، ما عدا سبنسر بالطبع.

– من الواضح أنه مجنون بك.

منذ يوم واحد فقط ما كانت سادي لتصدق ذلك. أما الآن فهاهي تقول: «الشعور متبادل بيننا».

سمعت رنة من الحسد في نبرة ليوني وهي تقول: «أمر واضح للجميع».

لم تعلق سادي على ما قالته، بل سألتها: «هل تستمتعين بوقتك؟».

- وما رأيك أنت؟

آه! سؤال خاطىء، وفي غير موضعه.

بدأت سادي بالقول «أعلم كم كنت راغبةً في القدوم إلى هنا...».

- هل أخبرك سبنسر عن رحلة برشلونة؟

أدارت سادي رأسها، وحدّقت مباشرة بالمرأة الأخرى. توهج وجه ليوني، لكنها لم تبعد نظرها عن سادي، ولا سادي فعلت. على الأقل لن تتظاهرا بأن الأمر لم يحدث. هزت سادي رأسها وقالت: «نعم، أخبرني».

- تصورت ذلك.

ضحكت ليوني بمرارة قبل أن تتابع: «عندما رأيتك برفقته البارحة صباحاً في المطار، وقال إنكما متزوجان، اعتقدت أنه يتظاهر بذلك كي يتجنبني. أنت تعلمين السبب، فهو لا يرغب بأن يكتشف ريتشارد ما حدث ويفسد الاتفاق».

هزت رأسها مستغربة، وتابعت: «أليس ذلك مستغرباً من رجل معروف بنزاهته وصدقه؟».

تمنت سادي أن يكون سؤالها مجرد تعبير بلاغي، وقالت: «أنا وسبنسر معاً منذ وقت طويل جداً في الواقع، لذلك فكرنا أنه علينا ألا نثير المسألة خلال العمل».

ابتسمت ليوني وعلقت: «أتفهم ذلك. أنت محظوظة، وأنا أحسدك. آه! ليس بشأن سبنسر...».

توقفت قليلاً عن الكلام قبل أن تتابع: «... حسناً! لأكون صادقة... بلى، من أجل سبنسر، فهو رائع. لكن الأهم من ذلك هو أنه فعلاً يهتم بك».

تفهمت سادي تماماً ما الذي تشعر به ليوني. مما رأته، بالكاد يلاحظ ريتشارد أن زوجته موجودة قربه.

قالت: «ألهذا السبب حاولت التقرب من سبنسر، في برشلونة؟ والآن

تقربين من جايل بحجة التدليك؟».

هزت ليوني رأسها بحزن: «أعيش على أمل أن يلاحظ ريتشارد ذلك يوماً ما».

- هل تحاولين إثارة غيرته؟

- لِمَ لا؟ أريده أن يلاحظني، وأن يتذكر أنني زوجته. كيف يمكن لي أن أدعه يهتم بي؟

- لِمَ لا تخبرينه بالأمر؟

لم يكن ذلك سؤالاً بل اقتراحاً.

- أأقول له إنني أريد طفلاً؟

حدّقت سادي بها غير مصدقة: «أتريدين طفلاً؟ أحقاً؟».

- أجل. أريد طفلاً. أعلم أن لدى ريتشارد أولاداً في سن المراهقة وأكبر، وأعلم أنه يعتقد أن تلك المرحلة من حياته قد انتهت، لكن ليس بالنسبة لي. أنا أحبه وأريد طفلاً منه. أريد عائلة. ألا تريدين ذلك أنت أيضاً؟

- بالطبع. نحن نريد ذلك.

لم تكن سادي بحاجة إلى التفكير للحظة بهذا الأمر. فهي تحلم بإنشاء عائلة مع سبنسر منذ أن أصبحت بالغة كفاية لتعلم كيف يتم إنجاب الأطفال.

- لكنني لم أدرك أنك تريدين أطفالاً. هل يعلم ريتشارد بذلك؟

اعترفت ليوني: «لم نتحدث بالأمر».

ظهرت تعابير من الحزن على وجهها وهي تتابع: «وكيف سنفعل؟ فهو بالكاد يتصرف كأنني موجودة. أمر غريب جداً. لطالما ظهر بجانبي، وراح يلاحقني. قبل أن نتزوج، كنت أحصل على اهتمامه وانتباهه المطلق. لكن ما إن وضع الخاتم في إصبعي، حتى عاد مباشرة إلى أعماله. الزواج بي كان مجرد صفقة عمل له. فما إن حصل عليّ وأحسّ بنشوة الفوز بما يريده، لم يعد يهتم بي».

www.elromancia.com

- ربما عليك أن تخبريه بما تشعرين به. ربما هو لا يعتقد أنك تريدين أطفالاً.

- وربما لم يفكر بالأمر مطلقاً.

- لن تعرفي أبداً إلا إذا سألته.

تابعت سادي بصدق وحرارة: «صدقيني أنا أتحدث عن تجربة حقيقية. عليك أن تقولي له ما تريدينه...».

تنهدت ليوني والتقطت قبضة من الرمل، وتركتها تنساب ببطء من خلال أصابعها. ثم مالت برأسها إلى الجهة المقابلة ونظرت إلى سادي، وتمتمت: «أنت محظوظة جداً. هل تعلمين كم أنت محظوظة؟».

فكرت سادي بالسنوات الأربع الماضية، حين كانت عاجزة ومُهملة، وبليلة البارحة وهي بين ذراعي سبنسر. فلم تستطع إلا أن تهز رأسها وتبتسم.

قالت بنعومة: «نعم. أعلم بدون شك».

٩ - أريد طفلاً

استلقت سادي على جنبها في السرير، ومررت يدها على صدر سبنسر وهي تقول: «تحدثت مع ليوني بعد ظهر هذا اليوم».

- هممم.

تمتم بذلك كأنه يعلمها أنه سمعها، لكن بدا واضحاً أن انتباهه كان في مكان آخر. تحرك ما إن عانقته وحبس أنفاسه. تمتمت سادي وهي تمرر يدها على صدره: «أنت متوتر جداً».

أجاب سبنسر: «لست متوتراً، بل منهكاً».

عادا إلى غرفتهما بعد تناول العشاء الذي اعتبر وجبة لا تنسى، حيث تم شواء اللحم والخضار في فرن تحت الأرض يسمى «الوفو» على الطريقة المتّبعة في فيجي. ثم قال سبنسر إنه بحاجة إلى مراجعة بعض الأوراق مع سادي.

سألته سادي مشككة: «هل سنراجع بعض الأوراق؟».

انتظر سبنسر حتى أصبحا بعيدين عن سمع الجميع، ثم ابتسم قائلاً: «سنضع تلك الأوراق تحت السرير».

بعدئذٍ لم تعلم إن كانت تلك الأوراق تحت السرير أم لا. فقد أمضيا ما تبقى من الأمسية في السرير، أو في البركة تحت الشلال. بدت علاقتهما مليئة بالعاطفة الصادقة والشوق والمرح والعبث. إنها كل ما أرادته وحلمت به يوماً. وفيما هي غارقة في سعادة وفرح حبها، تذكرت ليوني ووجهها الحزين.

قالت وهي ترفع رأسها عن صدره: «كنت على حق، لقد عملت

www.elromancia.com

بالفعل على إغوائك».

رفع سبنسر رأسه بسرعة، وأراح جسمه على مرفقيه. بدا مرتعباً وهو يقول: «أهي من أخبرتك بذلك؟».

حركت سادي كتفيها وقالت: «في الواقع، نعم. وهي ترى أنك رائع».

أضافت وهي تبتسم: «لكن الأمر يتعلق بريتشارد. هي تحاول أن تجعله يغار، لكنه لم يلاحظ شيئاً كما هو واضح».

أجاب سبنسر باستياء: «الحمد لله على ذلك، وإلا لذهب هذا المشروع أدراج الرياح، فريتشارد يتحول إلى شخص عنيد جداً في بعض الأوقات».

استلقى على ظهره من جديد، وأخذ يجف رأس سادي بيده.

– في وقت ما، كان عنيداً جداً بملاحقتها، وكأنها جائزة ما. وعندما حصل عليها، نسي أمرها تماماً.

عبثت أصابع سبنسر بشعرها، وعلّق: «لكنها ليست محرومة. فقد حصلت على الكثير من هذا الزواج؛ السفر حول العالم.. منزل رائع.. بل في الحقيقة، ثلاثة منازل. واحد في فلوريدا، والثاني في إنكلترا والثالث في كوستاريكا. وما كانت لتعبث هنا في فيجي الآن لو لم تكن زوجة ريتشارد».

– لا أعتقد أن ليوني تهتم لفيجي أو لتلك المنازل الرائعة. المهم عندها هو زواجها وريتشارد، فهي تحبه.

– لديها طريقة مضحكة في إظهار ما تريده إذاً. لماذا لا تقول له إنها تحبه؟

– هذا ما نصحتها بأن تفعله.

تمتم سبنسر: «هل تبحث عن المشاكل؟».

قالت سادي وهي تضمه إليها بقوة: «لا! بل تريد طفلاً».

ابتعد سبنسر عنها على الفور، وقال: «ماذا؟».

ابتسمت له وهمست في أذنه: «ليوني، تريد طفلاً».

شعر سبنسر كأنه يختنق، لكنه قال: «انسي أمر الأطفال! أنا لا أهتم مطلقاً لما تريده ليوني! أنا أريدك أنت!».

وبسرعة أعادها إلى السرير، واصطحبها معه من جديد إلى عالم سحري جعلهما شخصاً واحداً.

رافقته سادي بشوق يضاهي شوقه لها، وهي سعيدة بتلك الأوقات الحميمة. قالت وهي تلقي رأسها على كتفه: «أحبك».

أراحت رأسها على صدره، وسمعت دقات قلبه في أذنها. رفعت رأسها وابتسمت له بنعومة وتابعت: «بعد وقت قريب ربما سيصبح لدينا طفل نحن أيضاً».

لم يجب سبنسر، لكنه أدار رأسه ليطبع قبلة على خدها، ثم همس وهو يضمها بين ذراعيه: «أحبك، أيضاً».

وتركها تنام بين ذراعيه.

وبعد قليل مرر يديه على ظهرها، ابتسم وهمس في أذنها: «أعتقد أن الحياة مليئة بما يكفي كما هي الآن».

* * *

قالت لها ليوني صباح نهار الجمعة: «سمع ريتشارد بأشياء جديدة أذهلته».

اجتمعت النساء على الشاطىء، بينما عمل الرجال على مناقشة آخر التفاصيل المتعلقة باتفاق نانومي.

تساءلت سادي عما جرى بعد نقاشهما في بداية الأسبوع، لكنها لم ترغب في السؤال. كما أن تصرفات ليوني لم تعطها قبل اليوم أي بريق أمل، لكن هذا الصباح رأت سادي بريقاً في عيني المرأة لم تره مطلقاً من قبل.

– هل أخبرته؟

– حسناً! كان عليّ جذب انتباهه أولاً. حاولت الكلام، لكنه استمر

بالعمل على الكمبيوتر النقال وكأنه لم يسمع شيئاً. وبعد ثلاث محاولات، أمسكت أخيراً بالجهاز، وهددته بأن أرميه على الأرض وأحطمه بقدمي إن لم يصغِ إليّ.

الآن جاء دور سادي لتفتح عينيها بدهشة. قالت: «لم تفعلي ذلك».

- حسناً! لم أرمه على الأرض، لكنني كدت أفعل.

واعترفت متابعة: «كنت بحاجة إلى إيجاد شيء ما يثير انتباهه، وهذا ما حصل».

قالت سادي باهتمام: «أنا متأكدة من ذلك. إذاً، ما الذي قاله؟».

- تفاجأ مما سمعه. في الحقيقة، أصيب بالذهول. أعتقد أننا لم نتحدث بما فيه الكفاية قبل زواجنا. مر الأمر بسرعة، كما أخبرتك. تصرف كأنه يريد الفوز بي، لكنه اعتقد أنني تزوجت به من أجل ماله، وهذا هو السبب الوحيد. الأحمق، لم يفكر للحظة أنني أحبه حقاً.

هزت ليوني رأسها، وأخرجت من فمها صوتاً امتزج فيه الضحك بالتنهد. قالت سادي بدهشة: «والآن، هل أصبح يعلم؟».

- إنه يفكر بالأمر، وأعتقد أنني قدمت له أمراً ليفكر به.

- والطفل؟ ما الذي قاله بشأن الطفل؟

- لم يصدق أنني فعلاً أريد طفلاً. يعتقد ريتشارد أنه أصبح عجوزاً على إنجاب الأطفال، وأنني أنا أيضاً أعتقد أنه عجوز على ذلك. قلت له إنني أنا من سيحمل الطفل! لكنه تساءل ما الذي سيقوله أولاده. فأجبته: لِمَ لا تسألهم؟ وهذا ما أدهشه أيضاً.

- وهل قلت له إنك ستوافقين على ما يقولونه حول هذا الموضوع؟

- هو يظن أنهم سيرفضون الأمر لأنهم لم يوافقوا أساساً على زواجه بي، لكن القرار ليس لهم في النهاية بل له.

بدا الأمر منطقياً جداً بالنسبة إلى سادي. ابتسمت ليوني وتابعت: «قال لي أكثر من مئة مرة إنها خطوة كبيرة، إن عليّ أن أراقب عن كثب أحفاد عائلة إيزوغاوا غداً لأرى إن كنت فعلاً أريد كل هذه الفوضى.

لكنه لم يقل لا، ولم يرفض الأمر. إنه مهتم للأمر في الواقع، وراغب به، كما أعتقد. والأمر الأكثر أهمية هو أنه يعلم أنني أحبه حقاً...».

توقفت عن الكلام لتضم سادي بين ذراعيها، وتشدها إلى صدرها وهي تكمل: «.. ونحن ندين بكل ذلك لك».

أخبرت سادي سبنسر بالأمر وهي تبتسم: «تقول إنها تدين بكل ذلك لي».

- هاه؟ من يدين لمن؟ وبماذا؟

بإمكانها أن تؤكد أن سبنسر مشتت الأفكار. بدا مشتاقاً ليضمها بين ذراعيه ما إن وجدها على الشاطىء. وعمل على إبعادها عن ليوني من دون أن ينظر إلى هذه الأخيرة نظرة واحدة. لا بد أن هناك ما يشغل باله.

كررت بصبر وهما يسيران نحو الجناح الخاص بهما: «قلت، ليوني وريتشارد يتحدثان مع بعضهما، كما أنه يصغي إليها بالفعل. وها هما يتواصلان من جديد! وقد ينجبان طفلاً أيضاً! وهي تقول إنها تدين بكل ذلك لي».

كانت متأكدة من أن سبنسر سيسخر من كل ما سمعه، لكنه هز رأسه فقط وقال: «المرأة مجنونة حقاً».

حسناً! أمضى سبنسر نهاراً صعباً جداً، فعمل طوال بعد الظهر لإنهاء آخر التفاصيل، وهكذا أصبح المنتجع الجديد شركة لعدد من الأشخاص، وتم التوقيع على هذا الاتفاق أخيراً. لذا بإمكانها أن تغفر له لأنه غير مهتم بطريقة أو بأخرى بشأن مسألة عائلة ليوني.

قالت سادي وهما يصعدان الدرج نحو شرفة بيت الشجرة: «يجب أن ترتاح لأن كل شيء سار كما ترغب».

وما إن وصلا حتى مدت يديها إلى كتفيه وظهره وراحت تدلكهما لتزيل التوتر من عضلاته المشدودة.

تنهد سبنسر وقال: «آه...! نعم».

ارخى كتفيه، ليسمح ليديها بأن تقوما بسحرهما لعدة دقائق، ثم وقف

مستقيماً وتابع: «كنت أفكر أن الوقت حان لنعود إلى بلادنا».

توقفت يدا سادي عن الحركة، وقالت: «نعود؟!».

- لا يمكننا البقاء هنا إلى الأبد. نعم إنها الجنة، لكن عملنا هنا انتهى.

- لكن الأسبوع لم ينتهِ بعد، والسيد إيزوغاوا يتوقع وجودنا هنا، فغداً هو يوم اجتماع العائلة.

وهي بدون أي شك تتطلع بشوق إلى هذا النهار.

رفع سبنسر كتفيه وقال: «تلك عائلة إيزوغاوا».

- ونحن نريد الالتقاء بهم. جميعهم يأتون إلى هنا كل سنة، السيد والسيدة إيزوغاوا، وكذلك أولادهم وأحفادهم. وهذا هو سبب وجود نانومي. أليس هذا ما عملنا عليه طوال الأسبوع؟

ظهر الضيق على وجه سبنسر، لكنه رفع كتفيه وقال: «حسناً! إن أردت البقاء فسنبقى».

دخل الغرفة وارتمى على السرير مستلقياً على وجهه ومعدته، وقد أغمض عينيه.

جلست سادي قربه، وقالت: «أرى أن الحماس قد انتهى. أليس كذلك؟».

استدار على السرير وضمها إليه بقوة قائلاً: «لا تصدقي ذلك».

* * *

استيقظت سادي في صباح اليوم التالي لتجد أن سبنسر ما زال غارقاً في النوم. لا عجب بذلك. فقد أمضيا معظم الليل ساهرين.

كادت الساعة تقارب الثامنة. وهي وعدت عائلة إيزوغاوا أن تلتقي بهم أثناء الفطور عند الساعة التاسعة. وهذا ما أعطاها الوقت الكافي لتستحم ولتتأخر كما تشاء. لا سيما أن سبنسر لم ينضم إليها، وهي تعلم كم هو مرهق ومتعب.

نظرت إليه، وشعرت بقلبها يتمدد من كثرة الحب الذي تشعر به نحو

هذا الرجل. مدت يدها ومررتها بنعومة فوق شعره الأشعث. لم يتحرك، فانحنت وطبعت قبلة على خده. فتنهد وابتسم، لكنه لم يستيقظ.

استحمت سادي، وجففت شعرها وصففته. ثم اعتنت بهندامها أكثر مما فعلت طوال الأسبوع، وغادرت الجناح قبل الساعة التاسعة، لكن سبنسر لم يتحرك من مكانه.

* * *

صوت ضحك الأطفال أيقظه، وأرعبه. للحظة لم يعرف سبنسر أين هو. ثم تذكر أن هذا يوم العائلة، وهو سوف يعيش تجربة غريبة عليه.

استلقى على السرير وهو يفكر بأفضل طريقة ليتجنب الأمر برمته، وما لبث أن سمع طرقة على باب جناحه، فتجهم وجهه. خلال الأسبوع كله، لم يأت أحد ليدق بابهما، إذ احترم الجميع خصوصيتهما. لكن ربما أرسلت سادي شخصاً ما لترى إن كان قد استيقظ.

نهض بانزعاج، وفتح الباب. رمش بعينيه إذ لم يرَ أحداً، ثم أدرك أن من يطرق الباب بالكاد يصل إلى مستوى صدره.

رأى فتاتين وثلاثة صبيان يقفون هناك وهم يتنقلون من قدم إلى الأخرى. سأله الصبي الأطول بينهم وقد اتسعت عيناه: «لم نرَ أبداً منزلاً في شجرة بهذا الحجم. هل تعيش هنا؟».

بدا الصبي كأنه نيوزيلندي ويشبه تماماً ستيف، وهكذا تكونت لدى سبنسر فكرة جيدة عمن يكون.

أجاب: «أعيش هنا فقط هذا الأسبوع».

وما إن مدوا أعناقهم ليتمكنوا من النظر إلى الغرفة عبره، ذكره فضولهم وشوقهم بأيام طفولته وبفضوله.

سألهم: «هل تريدون أن تلقوا نظرة على المنزل؟».

أيريدون ذلك؟ تعثروا به وهم يسرعون لاكتشاف المكان. شعروا بالذهول لرؤيتهم كيف بنيت الغرفة حول الأغصان، حتى إن أحد الأغصان كبير لدرجة أنه يمكن استعماله كمقعد، كما أنهم ابتهجوا لرؤية

الشلال. سألته الفتاة ذات الشعر الأحمر: «هل يمكننا أن نقف تحته؟».

رفع كتفيه وقال: «يمكنكم ذلك».

راحوا يتراقصون ويقفزون تحت المياه، وهم يضحكون بصوت عال، ولم يتمالك سبنسر نفسه عن الضحك، أيضاً. أخبرهم عن اسمه وتعرف على أسمائهم. الولد الأكبر جيرار والأصغر جوستين وهما ولدا ستيف وكاتي. أما الصبي الأوسط فهو كايف تن إيك، والفتاة الحمراء الشعر كاتيا، شقيقته. أما الفتاة الأخرى فهي مي، وهي حفيدة عائلة إيزوغاوا. هي لا تتحدث اللغة الإنكليزية بطلاقة لكن ذلك لم يشكل أي حاجز بينها وبين الآخرين. قال كايف: «هذا رائع. يمكنني أن أعيش هنا طيلة حياتي!».

- والتي ستنتهي قريباً جداً.

سُمع صوت من الباب، ودخلت ماريون وهي تبدو حازمة جداً. تابعت: «أنتم تعلمون أنه لا يُسمح لأحد بإزعاج الضيوف».

قالت كاتيا: «لكننا طلبنا الدخول بكل تهذيب».

هزّ جميع الأطفال رؤوسهم بالإيجاب والموافقة، وتطوع جوستين بالقول: «قال لنا إننا نستطيع أن نفعل ما نريد، أليس كذلك؟».

ونظر إلى سبنسر ليؤكد كلامه، فقال سبنسر موافقاً: «بالطبع».

بقي القلق بادياً على وجهها وهي تقول: «لا بد أنهم أيقظوك من نومك. قالت سادي إنك متعب، وإنك بحاجة إلى النوم».

- كنت مستيقظاً، وأستعد للذهاب للسباحة.

أمسك جوستين بيده، وأمسكت مي بخجل باليد الأخرى وقالا: «إذاً، لنذهب».

قالت ماريون: «اتركا السيد طياك وشأنه. والآن اخرجوا جميعكم بعد أن تقولوا شكراً على لطفه لأنه سمح لكم بإزعاجه».

- لم يزعجوني البتة. إنهم رائعون!

أمسك سبنسر بيدي الطفلين وقادهما إلى خارج الباب وعبر الدرج.

حرك يديهما إلى الأعلى ثم تركهما وقال: «انطلقوا إلى الشاطىء».

بدأ الأطفال بالصراخ والركض والقفز، بمن فيهم مي التي لم تفهم على الأرجح ما قاله. سارت ماريون ببطء قربه، وقالت: «أطفال مجانين! يعتقدون أنهم يستطيعون القيام بأي شيء في جزيرة عائلة روبنسون. شكراً لك، وأنا آسفة على الإزعاج».

كرر سبنسر قائلاً: «لا بأس! إنهم رائعون».

- يسعدني أنك تشعر على هذا النحو.

وربتت على كتفه. وعندما رفع حاجبه متسائلاً استدارت وأومأت برأسها نحو المجموعة القادمة باتجاههما.

يضم الجمع السيد إيزوغاوا وزوجته، وزوجين شابين اعتقد سبنسر أنهما ولديهما وحفيدين أصغر من مي.

رأى صبياً صغيراً بالكاد يسير بتعثر، يمسك ريتشارد بإحدى يديه وليوني تمسك باليد الأخرى. كان يتجه نحو الشاطىء وريتشارد وليوني يضحكان ويشجعانه بقوة، كما رأى طفلاً آخر يرتاح على ذراع سادي.

قالت وهي تنظر إلى سادي وتبتسم لها بفرح: «إنها في أوج سعادتها الآن».

أكدت ماريون له: «ستكون أماً ناجحة جداً».

- أجل، لا شك بذلك.

❋ ❋ ❋

استمتعت سادي بكل الأيام التي أمضتها في الجزيرة، وبالطبع أحبت الليالي أيضاً، لكن نهار العائلة هو الأفضل.

لعبت مع أحفاد عائلة إيزوغاوا، واستمتعت بمراقبة سبنسر وهو يلعب مع الأطفال الأكبر سناً. أخذت تتخيل كيف ستسير الأمور مع أطفالهما يوماً ما، مع أنها علمت أنها أصابت الجميع بصدمة عندما سألتها ليوني عن عدد الأطفال الذين ترغب في إنجابهم فقالت: «ثمانية».

- ماذا!

ضحك جون تن إيكز، وارتجفت ماريون، وقالت: «الحمد لله إنك أنت من تريدين ذلك ولست أنا».

فيما علّقت كاتي بحزم: «باستطاعة سادي الاعتناء بهم وتربيتهم جيداً».

لكن النظرة المرتعبة على وجه سبنسر جعلتها تسرع في التأكيد للجميع: «أنا لا أريد ثمانية في الوقع، لأنني أعلم كم يحتاج الأطفال إلى العناية والجهد هذه الأيام، لذلك أعتقد أن ثلاثة أو أربعة هم عائلة رائعة، أو حتى طفل أو اثنين. وإن لم يرزقنا الله أطفالاً بإمكاننا أن نتبنى طفلاً».

* * *

أدركت سادي أن أمراً ما قد حصل. عندما ذهب الأطفال لتناول العشاء مع أهلهم، بقيت هي وسبنسر مع ريتشارد وليوني، اللذين أخذا يتصرفان فجأة كأنهما عروسين أكثر منها ومن سبنسر. بدت ليوني شديدة الحماس وهي تتحدث عن أحفاد عائلة إيزوغاوا. بدت بعيدة جداً عن التخلي عن فكرة الحصول على طفل، وكأن هذا النهار زاد من رغبتها وإصرارها على ذلك. كما أن ريتشارد لم يبدُ بعيداً عن الفكرة أيضاً. قال موضحاً: «أطفالي، أعني أولادي الكبار، عليهم أن يعتادوا على أنني أرغب في ولد جديد. فهم ليسوا مراهقين ليشعروا بالاحراج من عمل قام به والدهم».

قالت سادي؛ «بالطبع لا. طوني هانت أحد الفنانين في مبنى الفنون لدى سبنسر أصبح والداً وهو في الثالثة والستين من عمره، وابنه هو أفضل صديق لحفيده، أليس كذلك؟».

ونظرت إلى سبنسر طالبة منه المشاركة في الحديث.

– نعم. هذا صحيح.

وحرك قطعة من اللحم المشوي في طبقه من دون أن يضيف أية كلمة أخرى.

قالت ما إن انتهت من تناول طعامها: «يجب أن أغادر، فهناك الكثير

من الأغراض للتوضيب قبل الرحلة غداً صباحاً».

وسألت زوجها: «هل تريد القدوم، أم تفضل البقاء لفترة أطول؟».

أبعد سبنسر كرسيه إلى الوراء، ونهض قائلاً: «بل سأرافقك».

ودعا عائلة كارستيرز. صافحهما ريتشارد بحرارة، أما ليوني فضمتها إليها وهمست: «أنتما أفضل شخصين في العالم. عندما ننجب طفلاً سنسميه باسم أحدكما».

ضحكت سادي وقالت: «أعتقد أن عليك التحدث مع ريتشارد أولاً».

تمنوا لبعضهم رحلة سعيدة. هي وسبنسر سيغادران في صباح اليوم التالي، وأما عائلة كارستيرز فستمكث لأسبوع آخر من أجل البقاء معاً لفترة أطول. أما الآخرون فلديهم رحلة بالطائرة في ساعة متأخرة الليلة إلى نيوزيلندا.

أمسك بذراعها كي لا تتعثر وهما يسيران على الطريق الخشبية. لم يتفوه بكلمة واحدة، ولا هي أيضاً. أرادت أن تطبع هذا الجمال في مخيلتها، لأنها ستتذكر كل لحظة مرت مراراً وتكراراً.

فتح سبنسر باب الجناح وأمسك به لتتقدمه. مرت سادي أمامه، ثم استدارت وضمته بقوة بين ذراعيها. للحظة شعرت به يتصلب. لكن بعد ذلك مدّ ذراعيه حولها، وضمها إليه.

قالت سادي؛ «كل شيء بدا رائعاً، وكل ما نحن فيه رائع حقاً».

ضغط عليها قليلاً وأراح خده على شعرها. وقف جامداً، رافضاً أن يتركها. أخيراً أبعدت سادي ذراعيها عنه، وابتعدت خطوة لترفع نظرها وتحدق في عينيه. سألته: «ما الأمر؟».

ابتلع غصة قبل أن يقول: «لا شيء، أنا بخير، أنا...».

توقف عن الكلام، وتنفس بعمق، ثم بدأ بالتحدث من جديد. لاحظت أنه يبدو شاحباً وأن هناك خطوطاً من التعب والارهاق حول فمه: «ما قلته عن الأطفال..».

ضحكت سادي وعلقت: «كنت أمزح! لا تقلق! لن يصبح لدينا ثمانية أطفال».

- لا، أبداً.

- لكن مهما كان العدد الذي سننجبه، أريدهم أن يكونوا كلهم مثلك تماماً.

- لا!

- هكذا سيصبح لدي منك عدد من الأطفال إلى الأبد، ليملؤا حياتي كلها. لا أستطيع تخيل أن هناك أمراً أكثر روعة من عدد من الأطفال شعرهم أسود تماماً كشعرك.

هزّ سبنسر رأسه، وقال: «لا! لا أستطيع».

حدّقت به سادي مصدومة: «ماذا؟ لا تستطيع... ماذا؟».

- لا أريد أطفالاً! لا أريد أي طفل على الإطلاق.

١٠ - أنت حلم حياتي

كرر سبنسر من جديد: «لا أريد أطفالاً. لن يكون لي أي طفل أبداً».

من خلال تجواله في الغرفة ومن الوحشية التي يبديها وهو يضغط على أصابعه بقوة، أدركت سادي أنه لا يمزح مطلقاً. قالت بعد أن أجبرتها حدة الموقف وغضبه الشديد على التراجع: «حسناً! قد لا نرزق بأي طفل».

- لكنك حينها سترغبين في تبني طفل ما.

- وما الخطأ في التبني؟

- لا شيء.. لا شيء على الإطلاق!

عاد ليضغط على أصابعه من جديد وهو يتابع: «إنه عمل رائع، بل مذهل لأي شخص آخر، أما أنا فلا أريد أطفالاً، سادي. لا أستطيع القيام بذلك».

- لكن...

- لا أستطيع. لن أكون مسؤولاً عن تقديم تلك الطفولة البائسة التي عشتها لأي طفل!

- آه! حباً بالله! هل هذا ما يقلقك؟ لن تكون مطلقاً مثل طفولتك!

- وكيف تعرفين؟

قالت بعناد: «أعلم ذلك جيداً. كيف يمكنك حتى التفكير بهذا الأمر؟

- لأنني أنا من عشتها. تباً! إنها كالجحيم... هذا ما أعرفه جيداً، ولا يمكنني القيام به. لن أفعل! لا أطفال. اتخذت قراري منذ سنوات

www.romancia.com

بعيدة.

- سبنسر . . . !

ضم ذراعيه فوق صدره، وقال: «لا!».

أرادت أن تجادله، أن تدخل إلى داخل رأسه العنيد لتقول له إن عليه أن يتوقف عن التصرف بمثل هذا الغباء، لكن لا جدوى من الجدال معه عندما يصبح عنيداً على هذا النحو. ما جعل من سبنسر مستثمراً ناجحاً هو قدرته على المرونة، وعلى رؤية الخيارات حيث لا يرى الآخرون سوى مخرجاً واحداً للقضية، أما الآن فهو لا يرى أي خيار آخر أمامه. حاولت أن تمر عبر الجدار الذي بناه حول نفسه، فقالت بصوت لطيف ناعم: «سبنسر!».

لكنه هزّ رأسه: «هكذا ستجري الأمور بيننا، سادي. لا أطفال. . . وانتهى الموضوع».

أي عنيد متصلب الرأي هو؟ بإمكانها أن تصفه بكل الكلمات التي تستعمل في هذه الحالة إن استمر على هذا المنوال.

- بإمكانك زيارة كل الأطفال الذين تريدين رؤيتهم. لن أمنعك أبداً.

- آه! شكراً جزيلاً . . . كم أنت لطيف!

أصبح صوتها أكثر قساوة الآن.

- أعلم أنك تحبين الأطفال و. . .

- أنت أيضاً تحب الأطفال! ألم تكن أنت هناك اليوم، تلعب معهم، تقفز في الماء، وتدع جوستن يصعد على كتفيك؟

- بالطبع أحببتهم. لكن هذا لا يعني أنني أرغب في إنجاب أطفال وتربيتهم!

- لا يمكنك أن تفرض قوانين أحادية الجانب هكذا.

- بالطبع يمكنني. وهذا ما فعلته.

- سبنسر. . !

- لا! وأنا لن أبدل موقفي هذا مطلقاً. آسف. لو أن الأمر يعنيك كثيراً، كان عليك أن تسألي. إميلي كانت تعلم وكذلك دينا. وبدا الأمر مناسباً جداً لهما.

- حسناً! لكنه لا يناسبني. وأنت لم تخبرني مطلقاً بالأمر.

- ها أنا أخبرك الآن.

والتقت نظراتهما كأنهما يتبارزان.

- هذا ليس كافياً لي.

هزّ رأسه قال: «آسف، لكن هذا ما ستجري عليه الأمور بيننا».

وعلى الفور استدار مبتعداً. سار نحو الخزانة وبدأ بوضع ثيابه في حقيبته، مديراً ظهره لها. حركاته بدت عصبية وغاضبة، وهي لا تشبه حركاته المعتادة. بدا لها أنه لا يشبه نفسه منذ أن دخلا إلى الغرفة، فقد تفوه بكلام قاس، بعكس ما اعتادت أن تسمعه من سبنسر.

حاولت من جديد: «سبنسر، أنت بحاجة إلى التفكير بمنطق بهذا الأمر، قبل أن تتخذ هذا القرار القاسي السريع».

استدار ونظر إلى عينيها مباشرة، وقال: «فكرت كثيراً، تباً! ما الذي تعتقدين أنني فعلته في حياتي كلها بحق الجحيم؟»

- أنا . . .

- لا! أنت من يجب أن تفكري بمنطق، وأنت من هي بحاجة إلى التفكير بهدوء ووضوح كي تتخذي قرارك. إن كنت تريدين أطفالاً سادي. . . فأنت لا تريدين الزواج بي، بل تريدين الطلاق.

الطلاق؟ أهو يتحدث عن الطلاق من جديد؟ بعد أن أمضيا أجمل أسبوع في حياتهما؟

- الطلاق!

كرر على مسامعها ما قاله في المرة الأولى. سقطت الكلمة كأنها صخرة من الغرانيت في صمت الغرفة، فيما تابع: «فكري في الأمر».

ثم أقفل حقيبته وسار نحو غرفة الحمام. أغلق الباب وراءه، وفي

الحال سمعت سادي صوت انهمار المياه.

جلست سادي على السرير، وهي تشعر بالبرودة والمرض ما إن أدركت فعلاً ما الذي يؤمن به. قالت لنفسها محذرة: «اهدئي! وخذي الأمر ببساطة وتعقل».

كيف يمكن له ألا يرغب بأن يكون لديه أطفال؟

بدا رائعاً جداً برفقتهم، كما أنهم أحبوه كثيراً.

تجمع الأطفال حوله طوال النهار، وسبنسر بطريقة عفوية علم كيف يعامل كل واحد منهم. لعب بصخب وخشونة مع جوستين وكايف، أصغى باهتمام إلى آراء جيرار، قام بملاحقة كاتيا، ولا شك أنه جعل من مي معجبة به على طول العمر عندما اختارها في فريقه وهم يلعبون بالكرة.

كيف يمكن له ألا يرغب في الحصول على فرصة للقيام بمثل هذه الأمور لأطفاله؟

* * *

علم سبنسر أنها ستصاب بصدمة، وعلم أنها لن تكون سعيدة. وعلم أيضاً أن الزواج بها من دون أن يخبرها بشرطه الأساسي عمل يفتقر إلى الصدق والنزاهة حيالها.

لقد منحته أجمل وأسعد أسبوع عاشه في حياته كلها. لا يمكنه أن ينسى ذلك، ولا يريد أن ينسى. لكن لا يمكنه أن يخدعها أيضاً. لا يمكنه التظاهر بأنه يريد مستقبلاً معها لا رغبة لديه في تحقيقه. افترض أنه كان عليه أن يخبرها بذلك في ذلك اليوم الذي كانا فيه يتبادلان الغزل والعناق، وأخبرته أن ليوني تريد طفلاً.

عندما قالت إنها تتمنى أن يحظيا بطفل يوماً ما، لم يستطع أن يفسد عليها جمال تلك اللحظة.

حسناً! إنه نذل، أناني، جبان وبدون عاطفة، لكنه على الأقل صادق، وعليها أن تعترف له بذلك.

أوقف انهمار المياه، ووقف في المغطس يرتجف من البرودة التي سيطرت عليه. هو لا يريد أن يسبب لها أي أذى، فهو يحبها. تباً! لكن عليه أن يخبرها. لا يستطيع أن يتركها تحلم بإنجاب عدد من الأطفال وهو يعرف أن ذلك لن يحدث. ستتمكن من استيعاب الأمر وتخطي هذه الأزمة. ففي النهاية، هي امرأة راشدة وحكيمة.

* * *

خرج سبنسر من غرفة الحمام، وهو يلف منشفة حول خصره. ما زال صدره رطباً وشعره مبلل بالماء. نظرت إليه. لم يكن هناك أي ملامح مقروءة على وجهه. استدار ليضع حقيبة الحلاقة الخاصة به في حقيبته، من دون التفوه بأية كلمة.

التزمت سادي بالصمت أيضاً. لم تعلم ما الذي ستقوله. أتراها تعرف سبنسر حقاً، أم أنها اعتقدت أنها تعرفه؟ من الصعب عليها أن تبتسم وتقول بمرح: «لا مشكلة».

فهناك مشكلة، ومشكلة كبيرة في الواقع. هذه هي الحقيقة!

– هل أشغل المنبه؟

طرح السؤال بطريقة وباردة جداً. أجابت سادي بالطريقة نفسها: «إنها فكرة جيدة، لا نريد أن نتأخر على موعد إقلاع الطائرة».

– ما دمنا الراكبين الوحيدين عليها، أعتقد أن باستطاعتهم الانتظار.

كانا ليضحكان على ذلك البارحة، أما اليوم فهزّت رأسها موافقة وقالت: «افعل ما تراه مناسباً».

فتح فمه، كأنه يريد أن يقول لها ما يريده، أو أن يخبرها شيئاً ما على الأقل، لكن لا بد أنه فكر أن من الأفضل ألا يفعل. أطبق فمه، وضغط شفتيه على بعضهما مشكلاً خطاً قاسياً. ولم يضف كلمة واحدة.

ضبط سبنسر المنبه، واستلقى على السرير، ثم راح يراقبها. في ليلة أخرى كانت لتذهب مباشرة إليه، لتجلس بقربه على السرير، وعندها سيلفها بين ذراعيه ويبدآن معاً رحلة نحو السعادة والفرح. أما الليلة...

قالت بصوت بارد: «سأستحم إذاً».

نزعت قميص نومها من المشبك، واختفت في غرفة الحمام تماماً كما فعل. وأغلقت الباب وراءها.

خرجت من غرفة الحمام وعيناها محمرتان من شدة البكاء. فكرت أنه إن تمكن من رؤيتها، فمن المؤكد أنه سيعلم أنها كانت تبكي. لكنها رأت أنه أطفأ الضوء القوي في الغرفة، وترك المصباح الصغير مضاء قرب السرير بجانبها. كان مستلقياً على السرير وقد أدار ظهره لها.

لم تعلم سادي إن كان لا يزال مستيقظاً، فهو لم يتفوه بأية كلمة.

أطفأت سادي الضوء بصمت، واستلقت على السرير قربه. شعرت بغصة من الألم في حلقها، ليس لأنها لا تستطيع البكاء، بل لأنه أقفل أي وسيلة للحوار بينهما. قام باتخاذ قرار أحادي الجانب مبنياً على ذكريات حزينة لا يمكنها مشاركته بها، ثم تراجع واختبأ وراء جدار طفولته التي لا تستطيع تغييرها.

خنقت تنفسها ووضعت راحة يدها على فمها لتمنع نفسها من إصدار أي صوت، لكنه سمعها واستدار على الفور.

- لا تبكي . . . حباً بالله!

سمعت صوته حزيناً ومليئاً بالألم تماماً كما هو قلبها.

- سأبكي إن أردت ذلك، أيها العنيد.

قالت ذلك وانهمرت الدموع على خديها.

- آه. . . تباً!

مدّ يديه إليها وضمها بين ذراعيه، ثم طبع قبلاً صغيرة على شعرها وهو يقول واعداً: «ستسير الأمور على ما يرام، أنا آسف».

شهقت محاولة أن تتوقف عن البكاء. لكن الاحساس بذراعيه حولها، باهتمامه وعنايته بها أفشل محاولتها.

همس سبنسر بسرعة: «لا تبكي! من فضلك، سادي، توقفي».

كيف يمكن للرجل أن يوقف المرأة التي يحبها عن البكاء؟ عانقها

بيأس. بدا عناقه قوياً، بائساً، وفيه كل ما تحبه بسبنسر، وهي لا تستطيع عدم التجاوب معه.

عانقته سادي وضمته بذراعيها، يائسة للحصول عليه تماماً كما يشعر حيالها. وفي النهاية استلقيا يحدقان بالسقف، وهما يشعران بالفراغ والضياع، بدلاً من الاستمتاع بحبهما وقربهما من بعضهما.

* * *

ابتسمت له في صباح اليوم التالي، وتحدثت معه. بالطبع، بقي هناك شيء من التحفظ والتوتر، وربما أثر للحزن في عينيها. لكنه لا يلومها، فهو يعلم أنها غاضبة ومنزعجة، فلم يمر بعد وقت كافٍ على قراره المزعج بالنسبة لها. ستعتاد على الأمر.

كانت رحلتهما إلى بوت طويلة ومرهقة، لكنها مرت بدون أي حوادث تذكر. نامت سادي في طريق العودة، كما فعلت في رحلة القدوم، وعمل سبنسر على مراقبتها كما فعل من قبل.

* * *

- أخبريني! كيف سارت الأمور؟

لم تعد مارتا قادرة على الانتظار كي تدخل إلى مكتب سادي في صباح اليوم التالي وهي تظهر فضولها بوضوح وتحدق قائلة: «آه! أرى خاتماً».

خطفت يد سادي وهي تتابع: «إنهما رائعان! وهما لك!».

هزت سادي رأسها. وابتسمت، رغم الألم والحزن المسيطرين عليها.

- تبدين جيلة وسمراء البشرة، كما أنك مرهقة.

رمقت سادي بعنين متسائلتين وأكملت: «والآن، صديقتك الفضولية تريد أن تعلم، هل سارت الأمور. . . ؟».

هزّت سادي رأسها، إلا أن نظراتها لم تلتقِ بنظرات صديقتها.

اقتربت مارتا منها أكثر وقالت بصوت غاضب: «لا تقولي لي إنه سيء إلى هذه الدرجة؟».

تورد وجه سادي، وقالت: «لا! كان الأمر رائعاً».

www.romancia.com

أجابت مارتا بفظاظة: «بالطبع، يمكنني أن أعلم كم أنت سعيدة».
- كل ما في الأمر... أن هناك مشكلة.
- هل يجب أن أقتله؟ أم يكفي أن أسبب له بعض الجروح؟

هزّت سادي رأسها، فمن الجيد لها أن يكون لديها صديقة تقف بجانبها مثل مارتا مهما كانت الظروف. ابتسمت من جديد وأجابت: «من الأفضل ألا تقتليه. فآدي بحاجة إلى أمه، وأنت لن تقدمي له أية خدمة إن قضيت حياتك في السجن».

تساءلت سادي إن كانت تجرؤ على وضع ثقتها بمارتا، ثم قررت أن تفعل. فربما ستعتقد مارتا أن سبنسر على حق، وربما رأت أنها هي من تتصرف بحماقة وليس هو. وهكذا أخبرت مارتا عما حدث، وانتهت بالقول: «أمضينا أسبوعاً رائعاً، بل مثالياً. فأنا أحبه وأعلم أنه يحبني أيضاً. لكننا لا نستطيع التحدث عن هذا الأمر. فهو لا يريد التحدث بشأنه. هل أنا مجنونة؟ أم مخطئة؟».

ببطء وعناد هزّت مارتا رأسها، وقالت: «أنت لست مخطئة، لا شك أنه والد رائع. لكن لماذا يعتقد أنه لا يستطيع أن يكون كذلك؟».
- أعتقد أن السبب هو أن والده لم يكن والداً جيداً. فوالداه كانا سيئين جداً، وهو لا يريد تلك الحياة لأطفاله.

حركت مارتا عينيها مستغربة: «آه! وكأن ذلك سيحدث».
- أنا أعلم ذلك، وكذلك أنت. لكن سبنسر ليس مقتنعاً بذلك.

قالت مارتا: «أنت لست على خطأ. وإذا أردت تحقيق ذلك، فعليك العمل عليه».

التحدث عن الأمر أسهل بكثير من العمل عليه، بالطبع. ما إن أصبحا في بلادهما، وبدأا بالعيش معاً في الحياة الواقعية حتى غرق سبنسر في عمله من جديد. فهو إما يتحدث على الهاتف طوال الوقت، أو يرسل الرسائل على جهاز الكومبيوتر أو عبر الفاكس. إنه دائماً يشغل نفسه بالعمل بقوة، ولم يذكر مطلقاً نظرية «عدم إنجاب الأطفال».

حتى إن سادي بدأت تفكر أنها تخيلت ذلك الأمر، لكن ما إن تنظر إليه وهو قرب إدوارد حتى تعرف أنها لم تفعل.

تحضر مارتا ابنها إلى المكتب دائماً. وفي كل مرة، تلاعبه سادي وتدغدغه، وتلعب معه بإصدار الأصوات وتقليدها، فإدوارد صديقها، وهي تتولى رعايته أحياناً لتتمكن مارتا وثيو من الخروج للسهر بين الحين والآخر.

سألتها مارتا: «أتريدين آدي في ليلة ما؟ ثيو ليس هنا، لكنني أستطيع أن أعمل قليلاً، وهكذا ستحظين بفرصة طبيعية لإثارة الموضوع».

تذكرت سادي كيف نصحت ليوني بالتحدث إلى ريتشارد، لكن عندما أصبحت هي في هذا الوضع، وسبنسر يتظاهر بأن كل شيء بألف خير، لم يبدُ لها أن الوضع سهل.

قالت: «نعم. دعيني آخذ آدي الليلة».

قضاء الليل مع آدي أمر ناجح جداً، فهو يحب سادي، وسادي تحبه. كما أنه حبا نحو سبنسر وأمسك به من ركبته وهو يقول: «أبي».

قال سبنسر: «لا... لست أنا».

لكنه لم يبعد الصبي عنه، بل حمله وقرأ له قصة. ثم تناول الثلاثة العشاء معاً، فتناول آدي كوباً من البازيلا بعد أن أقنعت سبنسر بأن يأكل منه أيضاً.

قال متذمراً: «أراهن أن ثيو لا يأكل البازيلا المهروسة».

لكنه أكل منها، وعندما رآه آدي فعل مثله أيضاً.

تجرأت سادي على الأمل، وهي تراهما معاً.

وعندما أتت مارتا لتصطحبه عند الساعة العاشرة، كان آدي نائماً.

حملت مارتا ابنها النائم من بين ذراعي سادي، وقالت: «هل هناك أمل ما؟ أتمنى لك كل الحظ».

أجابت سادي: «شكراً».

بعد أن غادرت مارتا، قالت لنفسها بصوت عالٍ: فقط تحدثي معه.

قالت بوضوح في صباح اليوم التالي: «نحتاج إلى التحدث مع بعضنا».
- نتحدث؟ بشأن ماذا؟

كان يعمل على جهاز الكمبيوتر، لكن عندما التزمت الصمت، رفع نظره إليها.

تنفست سادي بهدوء وقالت: «الأطفال!».

هدأت ملامح وجهه فجأة. لم يقل أي شيء للحظة طالت، وكأنه ينتظر منها أن تتابع. وعندما لم تفعل، سألها ببرودة: «ماذا عنهم؟».

وليظهر عدم اهتمامه، أعاد تركيزه على جهاز الكومبيوتر بين يديه.

تذكرت ليوني، فمدت يدها وخطفته من بين يديه. نظر إليها سبنسر مستغرباً من تصرفها، فكررت: «قلت لك إنني أريد التحدث معك».

ظهر الضيق على وجهه وقال: «تحدثي، إذاً».

- لا يمكنك أن تعلن في وسط زواجنا أنك لا تريد أطفالاً.

قال: «بل يمكنني، وهذا ما فعلته. ولا تبدأي بالقول إنه كان عليَّ إخبارك من قبل. أنت تعلمين إنه كان من المستحيل عليَّ فعل ذلك».

- حسناً! لكن ليس من المستحيل أن تعيد التفكير بالأمر وأن تبدل رأيك.

- لا أريد أن أبدل رأيي.

- ألم يعمل إدوار على تبديل رأيك؟

تجهم وجهه وقال: «وما علاقة إدوارد بما نتكلم عنه؟

- أنت تحبه، وتلعب معه، حتى إنك أكلت البازيلا لأجله. ونمت قربه.

- وماذا يعني هذا؟

- يعني..؟ لماذا تريد أن تحرم أطفالاً من والد كهذا؟ سنكون والدين رائعين، سبنسر!

- أنت ستكونين.

- وأنت أيضاً، أنا أعلم ذلك.

لم يجب، بل جلس صامتاً كأنه جبل أصم، ما عدا التوتر الذي جعل عضلة تنتفض في فكه. حدقا ببعضهما بصمت. أخيراً أقفل جهاز الكومبيوتر من دون أن ينظر إليه، ووضعه في جيب سترته ووقف.

قال بصوت هادىء وحازم: «أحبك سادي، وأعتقد أنك تحبينني».

- بالطبع أحبك. تباً!

- إذاً حاولي أن تفهمي أنني لن أبدل رأيي. والداي...

- آه! توقف عن الاختباء وراء والديك.

انتفض جسمه كله.

- ما الذي قلته.

- سمعتني جيداً. أنت تذكرهما كلما أردت التهرب من القيام بشيء ما. بالطبع، هما لم يتركا لك شيئاً ترغبه فيهما، فقد كانا زوجين تعيسين عاشا حياة بائسة تثير الشفقة والاشمئزاز. لكن إن استسلمت لتأثيرهما عليك، فهما سيهزمانك بدون أي شك.

- لماذا تقولين ذلك؟

- إن صدقت ما كانا يقولانه عنك، فذلك يعني أنهما ما زالا يسيطران عليك.

جادلته سادي، وهي تعلم أنها تقول الكثير، وتسبب له جراحاً عميقة، لكنها لم تكن قادرة على التوقف. تابعت: «فهما يملكان ما تفكر به، ويملكانك».

- الجحيم أقرب إليهما من ذلك.

أصبح سبنسر غاضباً جداً الآن. تلون وجهه بلون الدم، وبدت عروق رقبته واضحة. تابع: «لم يعتقدا للحظة أنني قادر على القيام بأي شيء. وكانا يؤمنان بأنني فاشل تماماً مثلهما».

- وهذا ما تؤمن به أنت أيضاً. أحبك سبنسر، وأعتقد أنك تحبني. لكن الأمر المحزن هو أنك لا تحب نفسك.

لم يعد هناك أي صوت في الغرفة.. في المنزل.. حتى في مونتانا كلها.

توقف العالم كله في النهاية. . . علمت سادي أنها قالت الحقيقة التي لا يمكنه مسامحتها عليها. وببساطة ماتت كل التعابير عن وجهه. بدا كأن للصمت دوياً بينهما، حتى قال سبنسر أخيراً: «سأغيب لمدة أسبوعين. إن بدلت رأيك، سأراك عندما أعود. وإن لم تفعلي، أقترح عليك أن ترحلي من هنا وأن ترسلي لي الأوراق المختصة بالطلاق».

* * *

قالت مارتا وكأنها أصيبت بصاعقة: «هل اقترح عليك أن تطلبي الطلاق؟».

جلست في مكتب سادي. وأخذت تحرك قدميها بعصبية. ثم نهضت وبدأت بالتجول. وأخيراً قالت: «أي نوع من الأغبياء هو؟».

قالت سادي بصراحة: «إنه من النوع العنيد».

شعرت كأنها تموت من الداخل، وتتحطم. إنها حية فقط من خلال الحركة وليس من خلال العيش فعلاً. هذا ما شعرت به منذ اللحظة التي خرج فيها سبنسر من المنزل بعد ظهر البارحة.

أخيراً قالت مارتا عندما جلست بهدوء: «ربما سيعود إلى رشده، ويبدل رأيه».

هزت سادي رأسها وقالت: «لن يبدل رأيه».

أدارت مارتا رأسها ونظرت إليها باهتمام وهي تقول: «وهل ستفعلين ذلك أنت؟».

- أفعل ماذا؟ أبدل رأيي؟ لا أستطيع.

تعلم سادي ذلك بوضوح. فقد أمضت الليل كله مستيقظة وهي تفكر بالأمر.

- إذاً ما الذي ستفعلينه؟

شحب وجه مارتا قبل أن تتابع: «هل ستطلبين الطلاق منه؟».

- ربما! سنرى ما الذي سيحدث. لكنني لن أعيش معه بعد اليوم.

* * *

لا بد أن هذين الأسبوعين هما أطول أسبوعين في حياته.

عاش سبنسر حياته متنقلاً من بلد إلى آخر، يقابل وجوهاً جديدة ويتعرف على أماكن مختلفة، لكنه شعر في هذه الرحلة أنه راغب بشدة في العودة إلى بيته، وإلى زوجته. لم يقل ذلك لها أبداً، فقد تحدث معها مرة واحدة، عندما كان في باهاماس. بدا حديثهما عاما ومهذباً ومتكلفاً، لكنه لم يستطع أن ينهي الاتصال من دون أن يسألها: «إذاً، هل ستتخلين عني؟».

شعر بالسعادة لأن صوته لم يخنه، ولم يظهر مدى خوفه من أن تفعل.

أجابت سادي: «لا أعرف بعد».

أرسل لها بعد ذلك رسائل عبر البريد الإلكتروني والفاكس، تماماً كما فعل في الأسبوع الأول عندما علم بشأن استمرار زواجهما، لأنه لا يريد أن يتشاجر معها ولا يريد أن يسمع ما الذي ستقوله. فلقد قالت الكثير فعلاً.

حاول ألا يفكر بما قالته. هي لم تقصد ما قالته. كانت غاضبة فقط، وهو متأكد أنها تفتقده تماماً كما يفتقدها. ومع أنه أعجب كثيراً بما وجده في إيرلندا، لكنه بالكاد يستطيع الانتظار ليعود إلى بوت.

ما إن وصل عند الساعة الثالثة بعد الظهر، حتى قاد سيارته مباشرة إلى المكتب ليفاجئها. لكن، لم تكن سادي هناك. . .

وجد غرايس ترودينيك جالسة وراء جهاز الكومبيوتر، تثبت نظارتيها، وتحرك رأسها إلى الأمام وإلى الوراء. توقف سبنسر فجأة عند الباب، وقال: «ما الذي تفعلينه هنا؟».

- حسناً! أهلاً بك أنت أيضاً، بني.

قالت غرايس ذلك، ونظرت إليه من فوق نظارتيها ثم تابعت: «لم أتوقع قدومك قبل صباح الغد».

- تمكنت من الحصول على بطاقة في طائرة اليوم. أين سادي؟

نظر حوله عبر القاعة الكبرى أمامه، لكنه لم يرها.

- سادي رحلت.
- إلى البيت؟

هزت غرايس رأسها وقالت: «غادرت بوت. ولهذا السبب أنا هنا!».

شعر سبنسر كأن الدماء قد سحبت من رأسه. رحلت؟ سادي؟ شعر بغثيان في معدته. وفجأة شعر بالحرارة تعتري جسده وبالعرق يتصبب منه، ثم شعر كأنه يتعرض للرياح الباردة في شتاء مونتانا.

قال بصوت بدا له بعيداً وضعيفاً: «إلى أين؟ إلى أين ذهبت؟».

- إلى تكساس. أوستن، تكساس. استلمت عملاً هناك.

تكساس؟ من الذي تعرفه هناك؟ لماذا رحلت؟ إنها تحبه! ومن المفترض ألا تتخلى عنه!

قالت غرايس: «تركت لك رسالة وشيئاً ما على مكتبك».

بالكاد تمكنت من قول ذلك قبل أن يمر أمامها ويتجه نحو مكتبه. رأى مغلفاً على المكتب، وبجانبه صندوق صغير.

ببطء فتح المغلف، وأخرج منه ورقة وحيدة صغيرة كتبت بخط أنيق. شعر بألم قوي وكأن غصة تسد حلقه. كتبت في الرسالة تماماً ما لا يريد أن يقرأه؛ أنها عملت تماماً كما قال لها، وأنها رحلت. وتعلمه أنها قبلت عملاً لدى ماتيوس غونزالز، حيث يعمل على انشاء مكتب له في تكساس. قالت ذلك بمنتهى البساطة. لم تحاول التقرب إليه. قالت فقط إنها تعمل ما اقترحه عليها.

فتح الصندوق، ورأى في داخله ثلاثة خواتم؛ الاثنان اللذان قدمهما لها في الطائرة، والخاتم الذي اعتقد أنه أضاعه، خاتم جده الأكبر.

حمل الخواتم بيده، وحف بإبهامه فوقهما، شعر بنعومة الحجر الكريم، والتخريم الناعم للخاتم العادي، وبالدفء الخاص بحجر الغليون. حركها في يده وأخذ يقلبها مراراً وتكراراً. بعد قليل شعر بالألم في حلقه يزداد، وبعينيه تؤلمانه. وعندما علق ظفره في حافة حبة اللؤلؤ للقلب المكسور،

شعر بخديه رطبين من الدموع.

* * *

ستسير الأمور على ما يرام وتصبح أكثر سهولة. هذا ما تعلمه سادي بكل تأكيد. فعملها مثير، ومن السهل جداً العمل مع ماتيوس. فهو ينظم أوقاته بين ساو باولو وريو وأوستن. وتماماً كما كان الأمر حين كانت تعمل مع سبنسر، لديها كل الحرية للقيام بعملها بطريقتها الخاصة.

لم يعترض ماثيوس أبداً على ما تفعله، كما أنه أكثر مرونة من سبنسر. إنه يعمل بجد، لكنه في الواقع يتوقف عن العمل ليرتاح بين فترة وأخرى. كما أنه يؤمن بطريقة الشعب اللاتيني الرائعة للعيش أي بالقيلولة. وبينما كانت تعمل نظرياً، لساعات أكثر، كانت تجد نفسها خارج شقتها أكثر، وهذا أمر جيد لأن بإمكانها أن تخرج لتتعرف على أماكن جديدة في أوستن، لكي تعتاد على المدينة، وتجد أشياء جديدة عليها القيام بها وأماكن ترغب في الذهاب إليها. وهذا يعني أيضاً ألا تحظى بوقت كاف لتشعر بالأسى على نفسها.

تعرف سادي أنها قامت بالعمل الصائب برحيلها. هي حقاً تحب سبنسر بما يكفي لتعلم. أنه يثق بنفسه في العمل، فكيف لا يمكنه أن يفعل ذلك في حياته الخاصة؟ ومعها؟ بإمكانه أن يفعل ذلك. هي متأكدة أنه يستطيع.

عندما تحولت الأيام إلى أسابيع، والأسابيع إلى شهر ثم اثنين، وسبنسر لم يأتِ لرؤيتها، بات من الصعب عليها أن تستمر في التفكير بهدوء. كانت متأكدة من أنه سيأتي وراءها ليصطحبها إلى منزلهما. فهي بالطبع لم تترك مكان إقامتها سراً على أحد. بقيت على اتصال بمارتا، وتحدثت بالهاتف مع غرايس. وحدث مرة أنها تحدثت معه عندما أجاب على هاتف مكتب غرايس.

- سادي؟

كاد يختنق وهو يلفظ اسمها عندما سألت عن غرايس، أما هي فعانت

بالفعل من الاختناق عندما سمعت صوته العميق قبل لحظات قليلة يقول: «شركة طياك للاستثمار».

قالت بهدوء: «مرحباً، سبنسر. كيف حالك؟».

تسارعت كلماته وهو يقول: «أنا بخير، وأعمالي في تحسن دائم. سأسافر من جديد إلى إيرلندا. فالعمل بالمشروع قد بدأ، ولا بد أنه سيكون. . .».

توقف عن المتابعة، وقال: «لا يهم. أنا متأكد أنك غير مهتمة لما أقوله، ومن المحتمل أن لديك الكثير من الاهتمامات في عملك هناك».

قالت بمرح: «في الحقيقة هناك الكثير من الأعمال ومن المتعة أيضاً. ذهبنا إلى ريو الشهر الماضي، وماتيوس يملأ جميع أوقاتي».

- إنني متأكد من ذلك. حسناً! هذه غرايس.

قال لها ذلك على نحو مفاجىء، وعلى الفور علمت أنه سلم سماعة الهاتف إلى المرأة العجوز.

كانت تلك المرة الوحيدة التي تكلمت معه فيها. لكن ذلك الحديث أقلق أحلامها طوال ما تبقى من الأسبوع. بالكاد استعادت توازنها عندما دخل ماتيوس إلى المكتب في صباح أحد الأيام قائلاً: «هنئيني سادي. أقدمت على عقد خطوبتي».

بدا بوضوح أن ماتيوس متعلق بالشابة البرازيلية الجميلة كريستينا عندما ذهبت سادي برفقته إلى ريو، لذلك لم تتفاجأ بالخبر. قالت سادي: «هذا خبر رائع. أنا سعيدة جداً لأجلك».

بالطبع هي سعيدة لأجله، لكن هذا لم يمنعها من الذهاب إلى البيت والبكاء على الحب الذي خسرته. لم تقدم أوراق الطلاق بعد، لكنها توقعت أن يفعل سبنسر ذلك في أي يوم. ما من سبب يمنعه من القيام بذلك، فلقد تخلت عنه. بإمكانه أن يحصل على الطلاق وأن يتزوج من دينا، تماماً كما كان يرغب في السابق.

أخبرت مارتا عن خطوبة ماتيوس، وهي شبه متوقعة أنها ستسمع أن

سبنسر أقدم على خطوة مماثلة.

أجابت مارتا: «أتعتقدين أنه سيخبرني؟ إنه لا يتحدث إلى أي منا. آه! ربما يتحدث مع غرايس، لكن في معظم الأحيان هو ليس هنا».

تساءلت سادي، أتراه يعمل، أم أنه يبحث عن زوجة جديدة؟ عذبتها تلك الأفكار بشكل دائم، وتمنت لو أنها تستطيع التخلص من الاحساس بحبه، لكن في بعض الأحيان كانت تشعر كأنها ولدت وهي تحب سبنسر طياك، وأن إخراجه من حياتها ومن قلبها، سيكون المشروع الذي ستعمل عليه طوال ما تبقى من عمرها.

قالت لنفسها للمرة المئة هذا الأسبوع إن عليها أن تبدأ بالقيام بذلك. حملت ثيابها الوسخة واتجهت نحو القسم الخاص بالغسيل في المبنى. أخذت كامل وقتها وشعرت بالسعادة وهي تمسك بكل قطعة من الملابس وتضعها في الآلة المختصة بالغسيل، ثم أضافت الصابون والمبيض. إنها بحاجة إلى مبيض لدماغها، هذا ما فكرت به. ربما هكذا ستتمكن من التخلص من التفكير بسبنسر.

وقع ظل عليها وهي تضع جانباً الأوعية الخاصة بالغسيل. قالت من دون أن تستدير: «آسفة، ها قد وصلت إلى المرحلة الأخيرة. بإمكانك أن تستعمل الغسالة بعدي».

- أنا لا أريد أية غسالة، بل أريدك أنت.

ما إن سمعت الصوت الغالي العميق المألوف، حتى استدارت مبعثرة الأوعية في كل مكان.

- سبنسر!

أرادت أن تركض إليه، وتضمه إليها، لكنه لم يقم بأية حركة نحوها. وقف عند حاجب الباب واضعاً إبهاميه تحت حزامه، ورأت التوتر بادياً على محياه. بلل شفتيه، ثم تنهد بضعف وتوتر، وقال: «إن كنت تريدينني، أنا. . . وأطفالي. . .».

لم يبتسم، لكنها لمحت ضوءاً في عينيه، كأنه ألسنة من النار، وهو

يحدق في عينيها.

- آه، سبنسر!

وطارت إليه، حتى كادت أن توقعه أرضاً. شعرت بالفرح وهو يضمها بين ذراعيه ويضغط بها إلى صدره. استمر في ضمها كأنها الشيء الوحيد الذي ينقذه من الغرق.

- آه، يا إلهي! سادي، كم افتقدتك!

* * *

سألته عندما أصبحا في شقتها وقد ضما بعضهما بقوة: «لماذا؟ بعد كل هذه الأشهر، لماذا الآن؟ ما الذي حدث؟».

- لأن ماتيوس عقد خطوبته.

- ماذا؟

فتحت سادي فمها غير مصدقة. لا يمكنها أن تصدق ما سمعته أذناها.

- ماتيوس؟ وما علاقة ماتيوس بما حدث بيننا؟

هزّ سبنسر رأسه: «تركتني وذهبت إليه. إنه شاب لا مثيل له، ومن المحتمل أنه لا يمانع بالحصول على عشرة أطفال».

لم تستطع سادي التفوه بأية كلمة. هي وماتيوس؟ لو لم يكن الأمر مؤلماً جداً، لوجدته مهزلة حقيقية. قالت أخيراً: «لا، لم يكن هناك أي...».

- أنا أعلم ذلك. وأنت على حق، يمكنك أن تكوني أفضل أم في الدنيا.

- إن لم نرزق بأطفال، سبنسر، أستطيع العيش بدونهم.

لا بد أنها ستشعر بالألم والحزن، لكنها ستستمر في الحياة.

قال: «إن لم نرزق بأطفال، بإمكاننا أن نتبنى».

- بدلت رأيك إذاً؟

لم يكن ما قالته سؤالاً، فهي ليست بحاجة لتسأل. بإمكانها أن ترى

الجواب بنفسها، أن ترى في عينيه، من خلال الطريقة التي ينظر بها إليها، ومن خلال ابتسامته.

ارخى سبنسر قبضته عنها، ومدّ يده إليها لتتمكن من رؤيتها. بجانب خاتم الزفاف المصنوع من الذهب الوردي الذي لا يزال يضعه في إصبعه، ذلك الخاتم الذي قدمته له، رأت خاتم حجر الغليون الذي أعادته إليه.

قال: «جدي بدّل رأيي. وكذلك ريتشارد كارستيرز».

شهقت سادي. وجذبته نحو الأريكة الواسعة ليجلس، ثم أمسكت بيده. نظرت إلى الخاتم ومررت إصبعها فوق القلب اللؤلؤي.

- لم يعد مكسوراً كالسابق.

هزّ رأسه وقال: «عملت على إصلاحه بوضع قلب لؤلؤي جديد. جلب الخاتم لي العديد من الذكريات، وهي ذكريات سعيدة أكثر مما هي سيئة أو حزينة».

أوضح مسرعاً: «جدي هو الجزء الوحيد الجيد في طفولتي. وعندما استعدت الخاتم، ووضعته في إصبعي من جديد، بدأت أتذكره. لطالما نصحني بألا أصغي إلى والديّ، كان يقول إنهما يحاولان إيلامي لأنهما يشعران بالألم في أعماقهما. اعتاد أن يقول: كل ما تريده موجود في داخلك. بإمكانك أن تكون ما تريده. واعتقدت دائماً أنه يقصد الأعمال، ولم أفكر أن الأمر يتخطى ذلك، ليصل إلى حياتي وإلى الأشخاص الذين أحبهم. والآن أدرك أن الأمر يتعلق بنا، أيضاً».

رفع يدها إلى شفتيه، وطبع قبلة حارة عليها ثم قال برقة: «اتصل بي ريتشارد منذ عدة أسابيع. هو وليوني سيرزقان بطفل».

لم تدرِ سادي إن كان عليها البكاء أم الضحك، وقالت: «هذا خبر رائع!».

أكمل يخبرها: «لم أرغب مطلقاً بأن أكون مثل والديّ. والأمر الأكثر أهمية هو أنني لم أرد ألا أكون الرجل الذي تؤمنين به. وقد شعرت بالرعب من أن أفشل، وما زلت كذلك».

ابتسم بقلق قبل أن يتابع: «لكنني فكرت أن جدي قد يكون على حق. إنني إن عملت على ما أريده وقمت بالمخاطرة، فسأحقق ما أريده وأكون الرجل المطلوب، زوجك، ووالد أطفالك. الرجل الذي تحبينه، والذي سيحبك حتى آخر يوم من عمرنا».

همست بصوت ضعيف: «اعتقدت أنني فقدتك إلى الأبد. اعتقدت أنك لن تأتي إليّ مطلقاً».

- أتيت ما إن أدركت أن لديّ فرصة. أليس كذلك؟

ونظر إلى عينيها كأنه يدعم سؤاله بنظراته.

أجابت سادي: «آه! بالطبع. آه، حبيبي! طبعاً».

* * *

إنه أجمل عيد ميلاد حظي به سبنسر يوماً.

الثلج يتساقط بغزارة، والحرارة تحت درجة الصفر، والريح تصفر في الخارج، والمشهد البادي من نافذتهما بعيد جداً عن شهر العسل الذي أمضياه في فيجي. كما أنه مكان بعيد عن أوستن أيضاً، حيث ذهب ليعيدها إلى منزله منذ خمسة أشهر. لكنه أفضل مكان في العالم للمكوث فيه هذا الصباح وهو مستلقٍ على الأريكة يضم سادي إليه، وهما ينظران معاً إلى شجرة الميلاد.

قالت وهي تدنو أكثر منه وترفع رأسها لتطبع قبلة على خده المغطى باللحية: «إنها رائعة، أليس كذلك؟».

وافقها سبنسر: «بل مثالية، ولا يمكن أن تكون أفضل».

بالنسبة إليه لا يمكن للحياة أن تكون أفضل مما هي عليه. قالت سادي: «لا، ليست مثالية فعلاً. فتلك الزينة التي صنعتها غرايس لا تليق بهذا المكان».

- أي زينة؟

- هناك، وراء العزال. لا أعلم كيف وضعت هناك. هل بإمكانك نزعها؟ عندها ستصبح الشجرة مثالية.

نظرت إليه بمكر وابتسمت.

تنهد، ونهض عن الأريكة، وسار عبر السجادة نحو الشجرة.

- أية واحدة صنعتها غرايس؟

فقد صنعت غرايس العديد من الأشياء المخيفة. وكلها خاطتها بنفسها وعلقتها، وجميعها من المفترض أن تبدو كنجوم في الشجرة لكنها تشبه أكثر، قروناً من المريخ.

- تلك الموضوعة وراء العزال. أرأيتها؟

أمسك قطعة أخرى مما صنعته غرايس وقال: «هذه؟».

لكن ما إن نظر عن كثب إلى القطعة، حتى أدرك أنها ليست للزينة.

قال: «لماذا تحيك غرايس جورباً كزينة للميلاد».

قالت سادي وهي تبتسم: «لم تفعل. لقد حاكته من أجل الطفل».

حدّق سبنسر بالجورب الصغير ثم ابتلع غصة قبل أن ينظر إلى سادي وهو يشعر بالدهشة، وعدم التصديق معاً. ومع ذلك، قال: «هل هي..؟ أقصد هل أنت.. متأكدة؟».

هزّت سادي رأسها وهي لا تزال تبتسم.

بدا قلقاً ومتوتراً. فكر بالحمل الثقيل، وبالضغط والمسؤولية الملقاة عليهما، وإمكانية الأحداث السيئة والكوارث، وبالليالي الطويلة التي ستمر بدون نوم والوقت الذي سيبكي فيه طفله من دون أن يفهم ما به.

بعد ذلك فكر بمشاركة هذا الطفل مع سادي، وبالفرح والسعادة اللتين سيشعران بهما كونهما سيصبحان جزءاً من حياة شخص آخر، وببطء ظهرت ابتسامة على فمه وانتشرت على وجهه بأكمله.

قطع الغرفة ولف بذراعيه كتفي زوجته. عانقها وهو يقول: «شكراً لك، سادي! حبيبتي، لم أكن يوماً في حياتي كلها أفضل مما أنا عليه الآن».